من فقه الإيمان بالقدر

د. عباس حسني

مقدمة البحث

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظم سلطانه، الحمد لله الذي علم الإنسان ما لم يعلم، وأرسل محمدا ـ ﷺ ـ مبشرا ونذيرا، ومعلما للعالمين.

الحمد لله الذي فاضل بين العلماء والحكماء في الفهم والصلاح، قال تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ (الأنبياء ٧٨، ٧٩) وقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ (الجاثية ٢٣).

فالحمد لله الذي لم يقصر حسن الفهم على السلف دون الخلف، وإن كان هذا لا ينقص من قدر السلف شيئا، والحمد لله الذي لم يقبل العلم دون عمل وإخلاص، والحمد لله الذي جعل شريعته علما عظيما ميسرا لمن جاءه من بابه الصحيح: قال تعالى: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر﴾.

ولقد أنعم الله تعالى على الإنسان بعلوم نافعة كثيرة، ولكن على كثرة هذه العلوم وضخامتها بالنسبة إلى البشر فهي لا تساوى شيئا في علم الله تعالى، فالإنسان لا يعرف إلا الظواهر المشاهدة فقط، ولا يعرف حقيقة الأمور، ولقد كان يُظنُّ ـ قبل ظهور العلم الحديث ـ أن الإنسان وإن كان لا يعرف نفسه التي بين جنبيه إلا أنه يعرف جيدا حقيقة المادة التي يتكون منها جسمه، ولكن اتضح أخيرا للعلماء

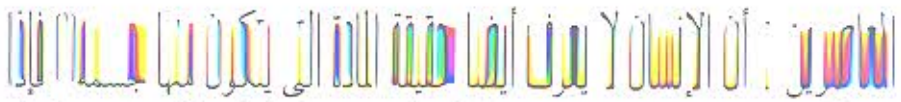

كان الإنسان قد توصل إلى علوم هائلة فى نظره فإن هذه العلوم لا تساوى قطرة فى بحر من علم الله عز وجل، ومن أجل ذلك يجب على الأنسان أن يحترم عقله، ولا يحمله فوق طاقته التى أعدلها. ولما كانت بعض مسائل القدر من الأمور الغيبية التى يستحيل على العقل البشرى أن يدركها في الحياة الدنيا، ولما كان بعض العلماء الأفاضل قديما وحديثا قد حاولوا حلّ مشكلات بعض هذه الأمور التى سكت عنها القرآن الكريم والسنة المطهرة، فإنى قد رأيت : أنه من المفيد أن أوضح ـ مستعينا بالله تعالى ـ الحد الفاصل بين ما يقال وما لا يقال من مسائل القدر.

هذا وقد قسمت البحث إلى ثلاثة فصول كالآتى :

الفصل الأول : أصلان للقدر ويحتوى على البنود الآتية :

١ ـ وجوب الإيمان بالقدر.

٢ ـ القدر بين عالم الغيب وعالم الشهادة.

٣ ـ الأدلة على القدر الذى هو من عالم الغيب.

٤ ـ الأدلة على القدر الذى هو من عالم الشهادة.

٥ ـ الأصل من القدر ـ الذى هو من عالم الشهادة ـ هو من مزيد رحمة الله تعالى :

٦ ـ السنن الكونية هى جزء من الأصل الذى هو من عالم الشهادة.

٧ ـ قانون المحدودية يحكم الإنسان.

٨ ـ قانون التسخير.

٩ ـ قانون التفاضل والتكامل والتعاون.

١٠ ـ سنة التنظيم التشريعى.

١١ ـ سنة المصائب مقابل الذنوب مع العفو.

١٢ ـ سنة الترف يؤدي إلى الدمار.

١٣ ـ سنة فقدان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يؤدى إلى هلاك الأمم.

١٤ ـ سنة النصر والإعلاء.

١٥ ـ سنة الدفع الإلهي تكمل سنة النصر والإعلاء.

---

(١) لأن أحداً لا يمكن أن يعرف حقيقة الكهيرب الموجب والآخر السالب التى تتكون منها الذرة التى هي اللبنة الأولى فى مادة أى شيء فى الوجود عى حد علمنا الحالى.

الفصل الثاني : العلاقة بين هذين الأصلين :

١٦ ـ التناقص الوهمى الذى يبدو فى الدنيا بين هذين الأصلين.

١٧ ـ إنكار الكتاب والسنة على من احتج بالأصل الذى هو من عالم الغيب.

١٨ ـ الإنكار على من ركن إلى أحد الأصلين ولم يؤمن بالأصل الآخر : ذم القدرية والمرجئة.

١٩ ـ بيان المقصود من احتجاج آدم على موسى (عليهما السلام) بالقدر.

٢٠ ـ بيان المقصود من قوله تعالى : **﴿قل كل من عند الله﴾**، **﴿وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾**.

٢١ ـ بعض علماء أهل السنة يحاولون التوفيق بين الأصلين تفصيلا دون جدوى.

٢٢ ـ تكرار مفيد : موقف الرسول ـ ﷺ ـ هو منع التفصيل، وكذلك موقف الصحابة.

٢٣ ـ أسباب فشل محاولات العلماء لتفصيل العلاقة بين الأصلين.

السبب الأول : انتماء الأصلين إلى عالمين مختلفين.

السبب الثاني : ما سكت الشرع عن تفصيله من أمور العقيدة يستحيل عقلا وشرعا حله عن طريق أهل العلم.

٢٤ ـ كيفية الرد على أهل الضلال فى أمور من القدر.

الفصل الثالث : التعامل مع هذين الأصلين من القدر.

٢٥ ـ كيفية التعامل مع الأصل المشاهد.

٢٦ ـ كيفية التعامل مع السنن الكونية.

٢٧ ـ ميزة هامة تخص المؤمنين وحدهم بالنسبة إلى التعامل مع الأصل الغيبى فى الدنيا.

٢٨ ـ ميزة أخرى تعم الناس جميعاً بالنسبة إلى الأصل الغيبي في الدنيا.

٢٩ ـ خلاصة فقه الإيمان بالقدر.

وبعد فإن كان ما ذكرته صوابا فهو من فضل الله تعالى وبتوفيقه، وإن كان فيه خطأ فهو منى، وأستغفر الله العظيم من كل ذنب، إنه هو الغفور الرحيم.

الفصل الأول : أصلان للقدر

١ - وجوب الإيمان بالقدر :

الإيمان بقدر الله عز وجل ركن هام من أركان التوحيد، فلا يقبل الإيمان إلا به، وهذا ثابت بالكتاب وبالسنة الصحيحة.

فأما الكتاب فقد قال تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾(القمر ٤٩) أى خلقنا كل شيء مقدرا مكتوبا منذ الأزل.

وقال تعالى ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ . . . ﴿ . لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾(الحديد ٢٢، ٢٣).

وقال تعالى : ﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾ (آل عمران ١٥٤) وقال عز من قائل : ﴿ **وفى السماء رزقكم وما توعدون - فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون**﴾ هذا والآيات الدالة على القدر كثيرة.

وأما السنة الصحيحة : فقد روى عمر رضى الله عنه قال (أي جبريل) [فأخبرنى عن الإيمان] قال (أى رسول الله - ﷺ -) ﴿**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**﴾(رواه البخارى ومسلم)(١)

وروى يحى بن يعمر قال : كان أول من قال فى القدر بالبصرة : مَعبد

(١) أنظر الأربعين النووية الحديث الأول.

الجُهنى، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميرى، حاجين أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ فسألناه عما يقول هؤلاء فى القدر؟ فوفق لنا عبد الله بن عمر ابن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ داخلا المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبى، أحدنا عن يمينه، والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبى سيكل الكلام إلىَّ فقلت: أبا عبد الرحمن، إنه قد ظهر قبلنا أناس يقرؤون القرآن، ويتقفرون العلم، وذكر من شأنهم، ويزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أُنُفٌ[1]!

فقال: إذا لقيت أولئك فأجزهم: أنى برىء منهم، وأنهم بُرآء منى، والذى يحلف به عبد الله بن عمر: لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر، ثم قال: حدثنى عمر بن الخطاب (وذكر حديث جبريل أنف الذكر) رواه مسلم[2].

وعن على رضى الله عنه عن النبى ـ ﷺ ـ قال:

[لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله، بعثنى بالحق، ويؤمن بالموت، ويؤمن بالبعث، ويؤمن بالقدر]. رواه الترمذى بسند صحيح[3].

وعن عمرو بن العاص، عن النبى ـ ﷺ ـ قال: [كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة] رواه مسلم[4].

وعن عائشة رضى الله عنها عن النبى ـ ﷺ ـ قال: [ستة لعنتهم ولعنهم الله وكل نبى كان: الزائد فى كتاب الله، والمكذِّبُ بقَدَرِ الله، والمتسلط بالجبروت ليعزَّ بذلك من أذلَّ اللهُ، ويذلَّ من أعزَّ اللهُ، والمستحلُّ تحريم الله، والمستحل من عترق ما حرّم الله، والتارك لسنتى] رواه الترمذى والحاكم بسند صحيح[5].

فالإيمان بقدر الله إنما هو ركن من أركان التوحيد، ذلك أن توحيد الربوبية

---

(١) أُنف: أى مستأنف من غير أن يسبق له سابق قضاء وتقدير وانما هو مقصور على الاختيار.
(٢) انظر جامع الأصول فى أحاديث الرسول ـ ﷺ ـ لابن الاثير الجزرى جـ ١ ص ٢٠٨
(٣) أنظر التاج الجامع للشيخ منصور على ناصف جـ ١ ص ٣٣
(٤) انظر الجامع للأصول للشيخ منصور على ناصف جـ ١ ص ٣٢.
(٥) انظر التاج الجامع للأصول للشيخ منصور على ناصف جـ ٤ ص ١٧٦.

يقتضى الإيمان بأن الله تعالى هو رب كل شيء، وخالق كل شيء من خير أو شر، وأنه يستحيل أن يحصل شيء فى الوجود إلا بتقدير من الله عز وجل. وغنيٌ عن البيان أن توحيد الربوبية وحده لا يكفى لاكتمال التوحيد، بل لا بد من توحيد الألوهية : أى التوجه بالعبادة إلى الله تعالى وحده، عن طريق اتباع رسله الذين اختتموا بخاتم النبيين وسيدهم محمد ـ ﷺ ـ وعليهم أجمعين، ولا تتم العبادة إلا بالرضى بقدر الله تعالى هذا، ومن الأمثله الحية على عدم كفاية توحيد الربوبية : حال قريش في الجاهلية فقد كانوا مشركين، مع أنهم كانوا يوحدون الربوبية، ولكنهم رفضوا توحيد الألوهية، وقد جلّى القرآن الكريم حالتهم هذه فى قوله تعالى :

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾(الزمر ٣٨)

فكما لا يقبل الإيمان بغير التوجه بالعبادة لله تعالى وحده لا شريك له، فإنه لا يقبل الإيمان بغير اتباع خاتم المرسلين، المبعوث لبيان الإيمان والعبادة الصحيحين، والإيمان بالقدر جزء لا يتجزأ من الإيمان الصحيح.

٢ ـ القدر بين عالم الغيب وعالم الشهادة :

قدر الله عز وجل يشمل : عالم الغيب وعالم الشهادة، فبعض قدر الله مكفوف عنا تماما، لأنه من عالم الغيب، وبعضه الآخر نعاينه بوضوح، لأنه من عالم الشهادة. فالقدر الذى هو من عالم الغيب :ما أثبته الله تعالى فى كتابه، وعلى لسان رسوله ـ ﷺ ـ من أنه يستحيل أن يقع شيء فى الوجود إلا بتقديره وإرادته، وأنه سبحانه هو خالق الخير والشر جميعاً عن حكمة وعلم، وأما القدر الذى هو من عالم الشهادة : فهو ما أثبته الله تعالى فى كتابة وعلى لسان رسوله ـ ﷺ ـ من أن الإنسان عليه أن يختار بين الكفر والإيمان، وبين الخير والشر، وأنه محاسب على هذا الاختيار، لأن الله سبحانه وتعالى منحه حرية الاختيار.

الأدلة على القدر الذى هو من عالم الغيب :

لقد تضافرت الأدلة من الكتاب والسنة الصحيحة على هذا الأصل، ونذكر فيما يلى بعض هذه الأدلة[1] :

قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾(الصافات ٩٦).

وقال تعالى : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾(الإنسان ٣٠).

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾(يونس ١٠٠).

﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾(الأنعام ١١١، ١١٢).

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾. (الانعام ١٢٥).

﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾(الأنعام١٣٧).

﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾(المدثر ٥٦) ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾(الأنعام ١٠٢).

---

(١) أنظر أيضا الأدلة التى سبق إيرادها بالبند (١) من هذا البحث منعا للتكرار.

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ (الشمس ٧).

﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (الأنعام ١٨).

ولقد أكدت السنة الصحيحة هذا الأصل [١] : فعن جابر بن عبد الله، قال : جاء سراقة بن مالك، فقال : [يا رسول الله، فيم العمل اليوم؟ فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير؟ أم فيما نستقبل؟ قال : لا، بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير، قال : ففيم العمل؟ قال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له، وكل عامل بعمله] (رواه مسلم). وقال - ﷺ - [. . واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وان اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك][٢].

وفى الصحيح أيضا : عن رسول - ﷺ - :

[إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها.] رواه البخارى ومسلم [٣]. وقال - ﷺ - [كل شيء بقضاء وقدر، حتى العجز والكيس]. [٤]

فهذه الأدلة القطعية من الكتاب والسنة تثبت بيقين أنه يستحيل أن يحصل شيء فى الوجود بغير إرادة الله، كما يستحيل أن يخرج شيء فى الوجود عن إرادته عز وجل، وأنه سبحانه خالق الخير والشر جميعا عن علم وحكمة، وهو خالق كل شيء، فهو سبحانه يخلق الخير لحكمة، ويخلق الشر لحكمة، وقد بين الله تعالى : أنه خلق

---

(١) يراجع ما سبق ببند (١) منعا للتكرار.

(٢) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وفى رواية غير الترمذى : [واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك] أنظر الأربعين النووية الحديث ١٩.

(٣) انظر التاج الجامع للشيخ المنصور ناصف جـ ١ ص ٣٠ وما بعدها.

(٤) رواه البخارى ومسلم ومالك : أنظر التاج للشيخ المنصور جـ ١ ص ٣٢.

الشر ليركمه جميعا فى جهنم يوم القيامة. قال تعالى: ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ (الأنفال ٣٧) هذا ومن حكمة خلق الشر امتحان المؤمنين به، حتى يصل كل منهم إلى الدرجة المعدَّة له، لأنه لا يمكن الوصول إليها الا بعد الامتحان الربانى قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ (الأنبياء ٣٥).

٤ ـ الأدلة على القدر الذى هو من عالم الشهادة:

لقد تضافرت أيضا الأدلة على هذا الأصل من الكتاب والسنة الصحيحة. فأما من الكتاب فقد قال الله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ (الشمس ٩، ١٠)

﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ (المدثر ٣٨)

﴿ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴾ (القيامة ١٣ ـ ١٥).

﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾(الأنعام ١٠٤)

﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾(الأنعام ٢٦ ـ ٢٨).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة ١٠٥).

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (يونس ٤٤).

﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾(الاسراء ١٥).

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾ (غافر ٤٩-٥٠).

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (الزمر ٧١).

ولقد أكدت السنة الصحيحة هذا الأصل، كما أكدت الأصل الأول.

فعن أبي ذر الغفاري عن النبي - ﷺ - فيما يرويه عن ربه عز وجل : أنه قال : [. . . يا عبادي، إنما هي أعمالكم، أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه] رواه مسلم [1].

وعن ابن عباس عن رسول الله - ﷺ - فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال : [. . ان الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك، فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همَّ بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، وإن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همَّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة] رواه البخاري ومسلم [2].

٥ - الأصل من القدر - الذي هو من عالم الشهادة - هو من مزيد رحمة الله تعالى وفضله على عباده :

لقد تفضَّل الله تعالى على عباده بهذا الأصل فرحمهم وخفف عنهم تخفيفا لا مزيد عليه، فقدَّر الله بواسع رحمته - ألا يحاسب أحدا من الناس على الإيمان به إلا بعد أن يرسل إليهم الرسول البشري بالبلاغ المبين، فلم يحاسب الله الناس على

---

(١) أنظر الأربعين النووية : (الحديث الرابع والعشرون).
(٢) أنظر الأربعين النووية : (الحديث السابع والثلاثون).

الإيمان المجمل الذى بلغه لكل إنسان عن طريق رسول الفطرة، ورسول البداهة العقلية، فكل إنسان بالغ عاقل معه هذان الرسولان: الفطرة والبداهة، الثابتان بالنصوص الصحيحة: قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم ٣٠).

ففطرة التوحيد أودعها الله تعالى فى أصل خلقة كل إنسان، كما جاء فى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (الاعراف ١٧٢ ـ ١٧٣).

فهذا النداء الربانى القديم [1] المودع فى نفس كل إنسان، يحتم على صاحبه أن يؤمن إيمانا مجملا بالله الواحد الأحد، ولئن كان شذا الايمان الفطرى عرضة للاتساخ بفعل البيئة السيئة[2]، إلا أن أثره يبقى كامنا فى النفس البشرية، ومن الجائز أن يُفجِّر فيها الخير مرة أخرى فى أى وقت، ومن ناحية أخرى فإن أثر الفطرة قد يظهر كوميض البرق عند الكفار حينما تحدث لأحدهم هزَّة هائلة، وقد صوَّر القرآن الكريم هذاالوميض بأسلوبه الفذ فى قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِن

---

(١) أى أن الله تعالى أخرج ذرية آدم كلها من صلبه، وهم مثل الذر، وأخذ عليهم العهد بأنه ربهم فأقروا وشهدوا بالتوحيد [انظر صفوة التفاسير ص ٥٢ للصابونى].
والمقصود هنا ـ والله أعلم ـ أنه خاطب أرواح البشر جميعاً.

(٢) كما ورد فى الصحيح [ما من مولود يولد إلا على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء] البخارى.

أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(يونس ٢١ ـ ٢٢).

فعندما تزلزل النفس البشرية بحادث رهيب[1]. تظهر الفطرة فجأة كوميض البرق، فلا يرى الإنسان أمامه إلا قدرة الله، وهنا يتوجه الكافر بالدعاء إلى الله تعالى، ولكن ما إن تزول الرهبة فإن الفطرة تخبو مرة أخرى، وتختفى تحت غبار البيئة السيئة التى تحدث عنها رسول الله ـ ﷺ ـ .

وإلى جانب الفطرة توجد البداهة العقلية، تؤكد الإيمان بالله وعظمته وحكمته وقدرته. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه البداهة فى آيات عديدة : قال تعالى : ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾(الطورة ٣٥ ـ ٣٦). وقال تعالى ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (الذاريات ٢١).

فهنا يكشف القرآن الكريم عن هذه البداهة العقلية ـ لدى كل عاقل ـ التى تثبت بيقين : أن هذه العوالم المتعددة والمتنوعة من المخلوقات يستحيل أن تصنع نفسها، أو تصنع بغير صانع قدير حكيم، ولو زعم زاعم لأحد الملحدين الماديين من أهل هذا العصر : أن كوبا صغيرا من الماء قد صنع بغير صانع لرفض هذا القول بالبداهة العقلية، لأن أي شيء مهما صغر شأنه واضح فيه أثر الصنعة والتخطيط السابق، إنما هو دليل يقينى على أن وراءه صانع عاقل قد صنعه، فكيف بهذا الكون المليء بالآيات الباهرات، والتى تبدأ من الكيان البشرى ذاته! فهو أقرب آية عظيمة إلى الإنسان.

هذا ولقد ظهر أثر هذين الرسولين (الفطرة والبداهة) فى الكون منذ خلق

---

(١) من أشد الحوداث رهبة أن يجد الأنسان نفسه فى وسط بحر هائج ورياح رهيبه وأفواه البحر الهائلة تريد أن تبتلعه ابتلاعا.

الإنسان، ولا صحة لما زعمه بعض المتفلسفين: من أن التوحيد ظهر على الأرض بطريق التطور، وأنه لم يصل إلى منتهاه إلا بظهور الإسلام، فهذا الكلام قد ثبت خطؤه من الناحية العلمية البحته، فضلا عن مخالفته لأصول الدين: قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (الانبياء٢٥).

وقال تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(البقرة ٢١٣).

ولقد جاء العلم الحديث ليصدق ما جاء به القرآن الكريم، فقد ثبت أن الجماعات البدائية الموغلة فى القدم رغم أنها كانت تعبد أشياء محسوسة كالشمس، أو السماء، أو الأرض، أو الأنهار، أو الأشجار، أو الأصنام، إلا أنها كانت تشترك جميعها فى الإيمان بوجود الكائن الأعظم، الذى أوجد جميع المخلوقات، وخلق الأشياء كلها[1]، وهكذا كانت قريش أيضا، وقد سبق أن بينا هذا، وقد سجله عليهم القرآن الكريم[2].

فتوحيد الله تعالى نزل مع آدم عليه السلام، ولم يظهر تدريجيا كما زعم بعض

---

(١) جاء فى كتاب (الله) لعباس محمود العقاد ما يأتى:
[يعرف علماء المقابلة بين الأديان ثلاثة أطوار عامة مرت بها الأمم البدائية فى اعتقادها بالآلهة الأرباب وهى: دور التعدد ـ ودور التميز والترجيح ودور الوحدانية] ص ٢٠ من الكتاب المذكور نشرته دار الهلال. فهذا ما يقوله بعض علماء مقارنة الأديان وهو باطل، لأن الثابت بالكتاب والسنة أن التوحيد ظهر على الأرض مع آدم عليه السلام، وهو نفسه كان نبيا ورسولا إلى أولاده بالتوحيد الخالص. هذا، ومعرفة الخالق الواحد مع الدعوة إلى الأديان المتنوعة أمر ثابت فى التاريخ أيضا (أنظر هامش (١) من ص١٢).

(٢) يراجع في هذا L'origine et developpment deo idees morales II vol. Tr. From. Paris 1938. أصل المذاهب الأخلاقية (أو الإنسانية) وتقدمها(لفران) جـ ١١.
وأنظر ص 192 The Hiwtory Of Law Seagle New york تاريخ القانون لسيجيل.

الفلاسفة، وكذَّبهم فى هذا العلم. ولذلك نجد أن رسالات الأنبياء جميعا جاءت بالتوحيد ولم تختلف إلا فى الشرائع، وقد صوَّر رسول الله ـ ﷺ ـ هذا الأمر أبلغ تصوير : [نحن معاشر الأنبياء أخوة لعَلَّات، ديننا واحد][1] ـ وبنو العَلَّات : هم أولاد الرجل الواحد من نسوة شتى ـ وهذا كناية عن اختلاف الشرائع مع وحدة الدين الذى يقوم على التوحيد الخالص،هذا، ولولا رحمة الله بعبادة لحاسب الناس على هذا الإيمان الذى هو مقتضى كل من الفطرة والبداهة العقلية، ولكن الله تعالى قدَّر أن لايحاسب أحدا إلا بعد إرسال الرسول البشرى بالبلاغ المبين : قال تعالى :

﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (الإسراء ١٥)

ويحتج الله تعالى على أهل النار بحجة واحدة لا تتغير، وقد تكررت هذه الحجة فى الكتاب الأعظم فى أكثر من آية : قال تعالى : ﴿ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۚ قَالُوا فَادْعُوا ۗ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ (غافر ٥٠).

﴿ ... وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (الزمر ٧١).

﴿ ... يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ (الأنعام ١٣٠).

فهذه الآيات المحكمات التى لا تقبل تأويلا، تهدر كل ما قيل بشأن تعذيب أحد دون إرسال رسول بالبلاغ المبين، وعلى هذا، فبالنسبة إلى الأحاديث التى

---

(١) انظر ما سبق آية ٣٨ الزمر
(٢) رواه البخاري

وردت بشأن تعذيب أهل الفترة فإن الصحيح [1] منها يجب أن يؤوّل بما يتفق وهذه الآيات القطعية الدلالة، فما ورد مثلا من تعذيب أهل الفترة فى النار يجب أن يحمل على أساس القصاص فى المظالم، فالقصاص فى المظالم ـ وهو من حقوق العباد ـ لا يحتاج إلى رسول بشري، ويعاقب الله تعالى عليه دون رسالة، وهذا ثابت بكتاب الله وسنة رسوله ـ ﷺ ـ فقد قال تعالى ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ (التكوير ٥).

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنعام ٣٨).

وفى الصحيح عن النبى ـ ﷺ ـ قال: [. . لَتُؤَدُّنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء (أى التى لا قرن لها) من الشاة القرناء] (رواه مسلم)، فالله عز وجل يحشر الوحوش والبهائم يوم القيامة، لإقامة القصاص الكامل بينها، تحقيقا لعدل الله تعالى فى خلقه.

فالله تعالى يقتص يوم القيامة ـ تحقيقا لعدله الكامل ـ حتى من الحيوانات بعضها من بعض. فالحيوانات وسائر العجماوات لا يرسل إليها رسول، بل إنها لا تعقل، وتعيش بالغريزة، ومع هذا يقتص منها، لأن أي مخلوق أخذ حقا من مخلوق آخر أو أهدر حقا له فإن من عدل الله أن يقتص من الظالم للمظلوم، وعلى هذا تحمل الأحاديث التى وردت بشأن تعذيب أهل الفتره. وأما الأحاديث الأخرى الضعيفة التى لا يمكن تأويلها فالاحتجاج بها مرفوض شرعا[2]، فهى واهية السند والمتن معا،

---

(١) ومع ملاحظة أن الحديث الصحيح السند اذا جاء مخالفا لحكم قطعى فى القرآن الكريم فإنه يعتبر ضعيف المتن، ولا يقوى على معارضة النصوص القطعية الورود والقطعية الدلالة ويجب تأويله بما يتفق والآيات المحكمة وإلا فهو ليس بحجة، ويلاحظ من جهة أخرى بالاستقراء ـ أن الأحاديث الصحيحة السند (الآحاد) يمكن تأويلها جميعها بما لا يتعارض مع أحكام القرآن القطعية وبغير تمحل، وأما الأحاديث التى تتعارض مع محكم القرآن تعارضا لا يمكن تأويله فكلها ضعيفه، ومن صحح بعضها فهو ملزم بعدم الاحتجاج بها فيما يتعارض مع محكم القرآن، فهذا من أصول الدين الثابته بيقين.

(٢) وأول من رفضها هو رسول الله ـ ﷺ ـ نفسه فقد قال: [إذا سمعتم الحديث عنى تعرفه قلوبكم وتلين له أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم قريب فأنا أولاكم به، واذا سمعتم الحديث عنى تنكره قلوبكم وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم وترون أنه بعيد منكم فأنا أبعدكم

وهذا الحديث [الوائد والموءودة في النار] (رواه أبو داود وهو ضعيف السند والمتن معا) فهذا يتعارض مع محكم القرآن، فهو يتعارض مع احتجاج الله تعالى على أهل النار جميعا بإرسال الرسل إليهم بالبلاغ المبين، والموءودة ماتت بغير ذنب قبل أن يجرى عليها القلم، وهو يتعارض مع سياق قوله تعالى ﴿**وإذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت**﴾.

وقد قال ابن عباس (١) [أطفال المشركين فى الجنة، فمن زعم أنهم فى النار فقد كذب، يقول الله تعالى : ﴿**وإذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت**﴾.

فهل يسألها الله تعالى بأى ذنب قتلت، ثم يدخلها جهنم بغير ذنب؟ حقا إن الله تعالى لا يُسأل عما يفعل، ولكن بيَّن لنا فى محكم كتابه : أنه لا يدخل أحد النار إلا بعد إرسال رسول إليه، يبين ويفصل له، ولقد وردت أحاديث أخرى تفيد أن [الموءودة فى الجنة] رواه ابن أبى حاتم، وجاء فى مسند أحمد مثلة.

هذا ولا يكفي مجرد السماع بالرسول، بل لا بد من أن يسمع المرسل إليه آيات الله، والإنذار بالآخرة، كما ورد فى الآيات آنفة الذكر ففيها : ﴿... أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ..﴾، ﴿.. يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا... ﴾(الأنعام ١٣١).

فلا بد إذن من أن يسمع المكلف آيات الله ويفهمها، حتى يتم البلاغ المبين الذى به يقع الحساب على الإيمان بالله تعالى، بل إن الكافر يوم القيامة يشهد على نفسه أنه قد جاءه هذا البلاغ المبين كما هو صريح نص آية الأنعام، وأنه كفر بالله تعالى عن علم وبغى.

بل إن من مزيد رحمة الله تعالى وفضله على الناس فى الدنيا والآخرة : أنه لا يهلك أهل القرى فى الدنيا إلا بعد إرسال الرسل إليهم، فهو لا يهلكهم وهم غافلون

منه] رواه أحمد فى مسنده وأبو يعلى فى مسنده [وهو صحيح السند : أنظر الجامع الصغير للسيوطى جـ ١ ص ٢٩] ولا ريب أن الاحاديث التى تتعارض مع محكم القرآن هى من هذا النوع الذى تبرأ منه الرسول ـ ﷺ ـ .

(١) أنظر تفسير ابن كثير لهذه الآية فترجمان القرآن استدل بها على عدم جواز تعذيبها (أى الموءوده) بأن الله يسألها بأى ذنب قتلت.

عن الرسالة [1]، فقد قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴾(الأنعام ١٢٣).

[يقول: إنه لم يكن يعاجلهم بالعقوبة حتى يبعث إليهم رسولا ينبههم على حجج الله عليهم، وينذرهم عذاب الله يوم معادهم، ولم يكن بالذى يؤاخذهم غفلة، فيقولوا: ما جاءنا من بشير ولا نذير. .][2].

فالأصل من القدر الذى هو من عالم الشهادة غَمَر الناس برحمة الله غَمرًا، فقد قدَّر الله تعالى أن لا يحاسب الناس على ما أرسله إليهم من إيمان مجمل عن طريق الفطرة والبداهة العقلية؛ فهو لا يحاسبهم إلا بعد تفصيل هذا الإيمان المجمل عن طريق الرسول البشرى، فلا بد إذن من تأكيد الميثاق الأول ـ الذى أخذه الله على الناس جميعا وهم فى عالم الذر ـ بالميثاق الثانى الذى يأتى به الرسول البشرى ولقد سجَّل القرآن الكريم هذه الفضل المبين فى قوله تعالى : ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾(هود ١٧).

فهذه الآية الكريمة تقرر : أن كل إنسان عاقل بالغ عنده من الفطرة (والبداهة العقلية) ما يشهد للشريعة من حيث الجملة، وأما التفصيل فيؤخذ من الشريعة، والفطرة (والبداهة) تصدقها، وتؤمن بها، فليس لكافر بعد ذلك عذر، ولذلك توعَّد الله تعالى كلَّ من كذَّب بالقرآن من الأحزاب، أي جميع الناس، مهما أختلفت مللهم ومشاربهم؛ ما دام قد وصلهم هذا التفصيل الذى يبين ويؤكد ما لدى كل إنسان من الفطرة والبداهة. هذا ومن رحمة الله تعالى وفضله على الناس جميعا : أنه لا يكفى إرسال الرسول البشرى بالبلاغ المبين إلا إذا كان الإنسان لديه القدرة على تلقِّى هذا البلاغ، فإذا كان فاقداً لهذه القدرة فلا أثر لهذا البلاغ بالنسبة إليه، ومن

(١) ما لم يظلموا غيرهم من الناس لأن الظلم ـ كما ذكرنا ـ لا يحتاج الى رسول.
(٢) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ١٧٨ سورة الأنعام آية، ١٣٢.

أجل ذلك قضى الله تعالى : أن المجنون لا يحاسب حتى يفيق، والصبى لا يحاسب حتى يبلغ، والنائم لا يحاسب حتى يستيقظ.

٦ ـ السنن الكونية هى جزء من الأصل الذى هو من عالم الشهادة :

إن الله عز وجل يحكم الكون ـ المشاهد لنا ـ بسنن قدَّرها منذ الأزل، وإنه لمن اليسير التعرف على هذه السنن لمن نظر وتدبر فى هذا الكون، قال تعالى : ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (آل عمران ٣٧).

فالسنن التى تحكم الكون هى من قدر الله المشاهد للناس، ونبين فيما يلي أهم هذه السنن.

٧ ـ سُنَّةُ أو قانون المحدودية يحكم الإنسان :

إن الإنسان ـ على ذكائه الخارق بالنسبة إلى سائر المخلوقات ـ محدود القدرات(١) : فهو ينظر، ويسمع، ويحس، ويشم، ويفكر بمقدار، بل إن بعض

(١) ولا يحسبن أحد أن وصول الإنسان إلى سطح القمر يدل على أن قدرات الإنسان بلا حدود ـ كما يهذى بذلك بعض المفتونين ـ فلقد أثبت العلم الحديث أن قدرات الإنسان فى هذا المضمار وغيره حقيرة للغاية بالنسبة إلى الكون، ذلك أن بيننا وبين القمر ثانية ونصف ضوئية تقريبا «وسرعة الضوء فى الثانية الواحده ١٨٧٠٠٠ ميل»، وأما أقرب نجم إلينا فيبعد عن الأرض بما يعادل أربع سنوات ضوئية، وهناك نجوم بيننا وبينها ملايين السنين الضوئية، بل هناك مجرات غير مجرتنا بيننا وبينها بلايين السنين الضوئية، وهذه حقائق فوق مستوى الخيال، فمهما تخيل الإنسان فلن يستطيع أن يستوعب فى خياله هذه الحقيقة الثابته علميا. فالإنسان لا يستطيع أن يتصور ـ رغم ما أوتى من قدرة كبيرة على التصور ـ عظمة الكون المخلوق واتساعه. والإنسان لا يستطيع أن يصل الى أقرب نجم (أربع سنوات ضوئية) إلا اذا ركب متن الضوء أى سار بسرعة الضوء، وهذا شيء مستحيل إلى الأبد لأن أى جسم يسير بسرعة الضوء لن تتفتت جزيئاته فقط بل ستنشطر ذراته ويتحول إلى اشعاعات ذرية وهذا أمر محقق علميا، بناء على معادلة أينشتين الشهيرة التى صنفت على أساسها القنبلة الذرية وهذه المعادلة يعرفها طلبة المدارس الثانوية وهي :
الطاقة = الكتلة × مربع سرعة الضوء والنتيجة التى تهمنا هو أن أى جسم يستحيل عليه أن يصل الى سرعة الضوء وفى ذلك يقول لينكولن ألبرت : [وتصل الكتلة إلى ما لا نهاية

الحيوانات تفوق الإنسان فى بعض هذه القدرات، كحاسة الشم مثلا، أو حاستى السمع والبصر. ولقد بين القرآن الكريم هذه الحقيقة. بجلاء قال تعالى : ﴿ . . وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ (النساء ٢٨).

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴾ (الحاقة ٣٨، ٣٩).

﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أو تيتم من العلم إلا قليلا﴾

وآية السؤال عن الروح هى من معجزات النبوة، لأنه حينما سأل اليهود الرسول صلى الله عليه وسلم عن الروح فى معرض التحدى له، فإنه كان يستطيع

عندما تصل سرعة الجسم إلى سرعة الضوء نفسها، وحيث أن الجسم الذى تصل كتلته إلى ما لا نهاية لا بد أن تقاوم حركته مقاومة لا نهائية فإنه ينتج عن ذلك أن أى جسم لا يمكن أن تصل سرعته إلى سرعة الضوء] [من كتابه العالم واينشتين The uneverse end Dr. Einstein ص ٦٣] وعلى ذلك فإن الإنسان لن يستطيع أن يصل حتى إلى أقرب نجم إلى الأرض (ويبعد عنا أربع سنوات ضوئية) فكيف بالأجرام التى بيننا وبينها ملايين وبلايين

السنين الضوئية؟ فالعلم الذى اخترع القنبلة الذرية وأهبط الإنسان بقدر الله ـ على سطح القمر، هو ذاته. الذى أثبت عجز الإنسان الكامل بالنسبة لأقطار السموات والأرض. ولقد فرَّق الله تعالى ـ كما حصل فعلا ـ بين الوصول إلى السماء الدنيا وبين اختراق أقطار السموات والأرض ككل. فأثبت الله تعالى للجن القدرة على الوصول إلى السماء الدنيا ولمسها، وأشار القرآن الكريم : الى صعود الإنسان فى السماء : قال تعالى : **﴿وما أنتم بمعجزين فى الأرض ولا فى السماء﴾**(العنكبوت ٢٢) وفى الوقت نفسه أثبت عجز الإنس والجن عن الخروج من أقطار السموات والأرض فقال تعالى حاكيا عن الجن : **﴿وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا﴾**(الجن ٨) وقال تعالى فى حق الجن والانس جميعا : **﴿يا معشر الجن والإنس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا إلا بسلطان ـ فبأى آلاء ربكما تكذبان ـ يرسل** عليكما **شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران﴾**(الرحمن ٣٣ ـ ٣٥) هذا ويلاحظ أن المفسرين يفسرون هذه الآيات بأنها خاصة بيوم القيامة ولكن الألفاظ عامة وعجز الانسان شامل فى الدنيا والآخرة. وكما وصلت الجن بقدرة الله تعالى (التى أودعها فى أصل خلقتها) إلى بعض الأماكن فى السماء الدنيا فقد وصل الانسان بذكائه ـ الموهوب له من رب العالمين إلى بعض الأماكن فى السماء الدنيا ولكن كلا من الإنسان والجن لن يستطيعا الخروج من اقطار السموات والأرض وأنَّى لهم ذلك وقد علم الانسان أخيرا أن هذا أمر مستحيل طبقا لمقاييسه العلمية التى يتشدق بها فى كل مكان وقد أخذته العزة بالاثم إذ ظن أن هذا العلم إنما هو من عند نفسه وليس من عند الله تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرا.

أن يقول لهم أى شيء عن الروح، وما كان أحد منهم ليستطيع أن يمسك له بتلابيب الروح، ويقول له : [يا محمد، إن الروح بخلاف ما ذكرت] ولكن الرسول ـ ﷺ ـ إنما يبلغ عن رب العزة ما يؤمر به، ولقد قدَّر الله تعالى على الإنسان أن لا يعرف حقيقة نفسه التى بين جنبيه بل إن الله تعالى قدَّر على الانسان أن لا يعرف حتى كنة المادة التى يتكون منها جسمه، وهو أقرب شيء إليه، فقد ثبت علميا أن الانسان لا يستطيع أن يعرف جوهر المادة التى يتكون منها جميع الاشياء، إذ ثبت للإنسان أن اللبنة التى تتكون منها جميع عناصر المادة إنما هى الذرَّة، والذرة تتكون من عدد ـ يزيد وينقص حسب اختلاف العنصر ـ من الكهيربات السالبة التى تدور فى فلك حول عدد مماثل من الكهيربات الموجبة، ولا أحد يستطيع أن يعرف حقيقة الكهيرب، وإنما العلماء يعرفون بعض ظواهر هذا الكهيرب الذى يتكون من الكون المادى كله ـ على حد علمنا الحالى. ولقد سجل القرآن الكريم هذه الحقيقة : قال تعالى : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ (الروم ٧).

فالإنسان لا يستطيع أن يعرف كنه الأشياء، وإنما يعرف الظواهر فقط. فقانون المحدودية ـ إذن ـ يحكم الإنسان ـ بقدر الله تعالى ـ بصراحة بالغة تؤكد للإنسان ضعفه وجهله، مهما أوتى من قوة وعلم.

٨ ـ سنَّة أو قانون التسخير :

من نعم الله تعالى على الإنسان : أنه رحم ضعفه فى الدنيا، فكما قدَّر عليه المحدودية فقد أمدَّه بالتسخير، فسخر الله تعالى للإنسان ما في السموات وما فى الأرض، كما جاء فى القرآن الكريم، ولولا قانون التسخير لما استطاع الإنسان بقدراته المحدودة الهزيلة أن ينتج مسمارا صغيرا، وكل ما نراه من حولنا من مكتشفات مذهلة ـ فى زعم الإنسان ـ إنما هى أثر من آثار هذا التسخير الظاهر فى السموات والأرض. فلولا أن الله تعالى سخر ـ فى جو السماء حول الأرض ـ تلك الموجات اللاسلكية التى تسير بسرعة الضوء لما استطاع الإنسان أن يصنع المذياع ولا التلفاز، لأن الصوت والصورة لا يصلان إلا عن طريق ركوب متن هذه الموجات التى تسير بتلك السرعة الهائلة، فتلف حول الكرة الأرضية فى أقل من ثانية (١٨٧٠٠٠ ميل فى الثانية الواحده) ولو أن الله تعالى خلق هذه الموجات بسرعة

أقل ـ كميل فى السنة مثلا ـ فإن الإرسال الإذاعى والتلفازى ما كان ليصل إلينا من نفس البلدة التى نعيش بها إلا بعد عدة سنوات. وهذا هو الحال بالنسبة لسائر المكتشفات العلمية التى يفخر بها الإنسان الحديث، ناسيا أن هذا كله لم يصل إليه إلا بفضل ما قدرَّه الله تعالى من قانون التسخير.

٩ ـ سنَّة أو قانون التفاضل والتكامل والتعاون :

خلق الله تعالى الناس متفاوتين فى المواهب والملكات والقدرات، وهذا التفاوت إلى جانب محدودية الإنسان بصفة عامة، حتم عليه أن يعيش فى جماعات تتعاون فيما بينها على تيسير سبل الحياة لذلك الإنسان الضعيف بطبعه، عن طريق التكامل الذى يحصل بين أفراد المجتمع الذين يتفاضلون فيما بينهم فى أصل خلقتهم، فالأذكياء يستفيد المجتمع من ثمرات عقولهم، وألو القوة يستفيد الناس من قوتهم، والبشر جميعا ينتفعون : بأولئك الأفذاذ، الحكماء، العلماء، الأطهار الذين اصطفاهم الله على الناس جميعا برسالاته، والبشر جميعا إلى يوم القيامة فى أشد الحاجة، إلى ما جاء به سيد هؤلاء الأفراد وخاتمهم محمد ـ ﷺ ـ، ولقد فاضل الله تعالى حتى بين رسله، قال تعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ .. ﴾ (البقرة ٢٥٣).

فالاجتماع البشرى ضرورى لحياة الانسان حتى يتمكن من الاستفادة من قدراته المحدوده : عن طريق التكامل، والتعاون بين أفراد المجتمع، المتفاوتين فى المواهب، وعن طريق هذا التعاون مع الاستفادة من قانون التسخير ـ استطاع المجتمع الإنسانى أن يتقدم تدريجيا من الناحية المادية حتى وصل إلى ما هو عليه الآن من تقدم علمى هائل بالنسبة للبشر.

وفى بيان هذا التفاضل والتكامل يقول الله عز وجل :

﴿ .. أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾(الزخرف ٣٢).

ويفسر المفسرون هذه الآية الكريمة بأن الله تعالى (يبين أنه قد فاوت بين

لخلقه : فيما أعطاهم من الأموال، والأرزاق، والعقول، والفهوم، وغير ذلك، من القوة الباطنة، والظاهرة، ليسخر بعضهم بعضا فى الأعمال، لا حتياج هذا إلى هذا، وهذا الى هذا)[1].

هذا ويلاحظ أن غالبية البشر اندفعوا نحو التعاون المادى الآثم، وتركوا الانتفاع بالتعاون المثمر، الذى نزلت به رسل الله، قال تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾(المائدة ٢)، ولسنا فى حاجة إلى بيان هذا التعاون الآثم، فإن ما تعانيه البشرية الآن من جوع وخوف ودمار، لهو أبلغ دليل على هذا التعاون الآثم قال تعالى : ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾(الروم ٤١).

١٠ ـ سُنَّة التنظيم التشريعى :

لابد لقيام المجتمع الإنسانى ورقيه أن يتحقق له قدر من التنظيم، وبدون هذا التنظيم لا تقوم قائمة للمجتمع مهما كان بدائيا.

والتنظيم لا يتأتى إلا عن طريق التشريع. ولقد بدأ التشريع منذ أن خلق الله تعالى آدم وحواء ـ عليهما السلام ـ فى الجنة فقد سنَّ الله تعالى لآدم تشريعا بسيطا فنهاه هو وحواء عن الأكل من شجرة معينة فى الجنة.
لما عصى آدم هذا التشريع أخرجه الله تعالى هو وزوجه من الجنة، وأهبطهما إلى الأرض، وفى هذا دليل واضح على أن مخالفة التشريع الإلهى لها عقوبة رهيبة فى الدنيا قبل الآخرة.

وعندما هبط آدم وعاش على الأرض أنزل الله عليه تشريعا جديدا لتنظيم الأسرة الإنسانية الأولى، فأمره الله تعالى بتنظيم الأسرة على الصورة التى كانت تتفق حينذاك مع بداية ظهور الإنسان على الأرض، من أب واحد، وأم واحدة، فكانت حواء تلد فى كل مرة توأما ذكرا وأنثى، فأمر الله تعالى آدم ألا يتزوج الذكر إلا من أنثى ليست توأما له. ثم بعد أن تكاثر أولاد آدم وتفرقوا فى الأرض نُسخ هذا

(١) نقلا عن تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ١٢٧ فى تفسير آية الزخرف المذكوره.

التشريع فأصبح لا يجوز التزاوج بين الأخوة والأخوات إطلاقا، ولكن يبدو أن أثر هذا التنظيم المؤقت ظل موجودا عند قدماء المصريين، فلم يأخذوا بالنسخ الذى طرأ على هذا التشريع.

وكان من أثر هذا التنظيم الإلهى للأسرة : أن المجتمعات القديمة كان لها تنظيم للأسرة والزواج، ولثبوت نسب الأولاد للأب، وكان هناك تنظيم لحالة الزنى ـ التى تهدد الأنساب بالاختلاط ـ فللزوج فى حالة زنى زوجته أن يضربها ويطلقها، وله أن يقتلها فى بعض الأحيان، وكان للزوج الحق فى قتل من يزنى بزوجته إذا ضبطه متلبسا بجريمة، ومما يسترعى الانتباه: أن من تنظيمات المجتمعات القبليه اعتبار الاتصال الجنسى بين المحارم من الجرائم الخطيرة التى تكون عقوبتها القتل [1].

وهذا التنظيم التشريعى لم تعرفه الجماعات البدائيه إلا من آثار ما ورثته عن آدم عليه السلام، مما أنزله الله تعالى من تشريع منظِّم للأسرة، وإنه لمن الواضح أنه لولا ما نزل على آدم عليه السلام من تشريع إلهى ما كان لهذه الجماعات البدائية الموغلة فى القدم أن تعرف الزواج، وتهتم بحفظ الأنساب، وقتل الزانى بامرأة غيره، وقتل الزوجه الزانية [2].

وهذا يلاحظ أن هذه الجماعات القديمة لم تعرف السلطة المركزية التى تتولى إقرار الأمن والنظام، ولم تكن تعرف القضاء للفصل بين الخصومات، إذ أن ما نزل على آدم عليه السلام فى هذه الأمور كان يقتصر فيما يبدو ـ على تقديم القرابين لله عز وجل، كما ورد فى القرآن عن ابنى آدم ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ . .﴾(المائدة ٢٧).

وعندما تطورت المجتمعات البدائية وانتقلت من مرحلة الجمع والقنص إلى مرحلة المجتمع القبلى الذى يعتمد على الرعى والزراعة، ارتقى التنظيم فيها،

---

(١) «تطور القانون والنظام» Dimond (A. S) Tavis 1954 «L'evolution de la loi et l'ordre».

(٢) ويلاحظ أن تحريم الزواج بين المحارم هو أيضا من آثار ما نزل على آدم عليه السلام لأن الذكر كان محرما لأخته التوأم ثم لما تكاثر الناس اتسعت دائرة المحارم فشملت الاخوة والأخوات باطلاق.

فأصبح لبعض هذه الجماعات تنظيمات سياسية، فوجدت قبائل ذات تنظيم سياسى، يتمثل فى سلطة عليا يهيمن عليها رئيس أو أمير، ولهذا الرئيس مجلس من الكبار يعاونه فى إدارة شئون القبيلة، ويوجد إلى جانب الأمير رؤساء أدنى مرتبة، يمثلونه فى الإشراف على بطون القبيلة وأحيائها، كما عرفت بعض هذه القبائل السلطة القضائية للفصل فى المنازعات، بل عرفت هذه القبائل نظام المحاكم على درجات، فكانت هناك محكمة مختصة بالمنازعات بين أفراد الحى الواحد، ومحكمة أخرى مختصة بين المنازعات بين الأفراد من أحياء مختلفة وهكذا(١).

فالتنظيم التشريعى إذن ـ هو جزء من القدر الذى هو من عالم الشهادة، ولذلك فإن من يرفض التشريع الإلهى له عقاب أليم فى الدنيا والآخرة، وقد جعل الله تعالى ـ آدم عليه السلام ـ مثلا للعقاب فى الدنيا. وقد نجا من عقاب الآخرة بفضل توبة الله عليه هو وزوجه.

فمن رفض التشريع الإلهى فقد رفض قدر الله الذى من عالم الشهادة، وعليه أن ينتظر عقاب الله فى الدنيا قبل الآخرة، كما حدث لثمود وأصحاب السبت، وغيرهم، ولقد بيَّن الله تعالى : أنه أنزل تشريعات متعددة، وأنها تختلف بعضها عن بعض باختلاف الرسل الذين أنزلت عليهم هذه التشريعات، حتى أختتمت بالتشريع الإلهى السرَّ مدى إلى يوم القيامة، وهو التشريع الإسلامى، قال تعالى :

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾(المائدة ٤٩ ـ ٥٠).

---

(١) المرجع السابق : The History of law : تاريخ القانون لسيجيل نيويورك سنة ١٩٤٦.

١١ ـ سنَّة المصائب مقابل الذنوب مع العفو :

من سنن الله تعالى التى قدَّرها على الناس : أنه ينزل المصائب لتكفير ذنوب المؤمنين فى الدنيا، ولعقاب الكفار فى الدنيا قبل الآخرة، وهذا مع عفو الله وإحسانه للناس جميعا، قال تعالى ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴾(فاطر ٤٥).

قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾(الشورى ٣٠).

وروى عن الحسن البصرى قال : لما نزلت هذه الآية الكريمة قال رسول الله ـ ﷺ ـ (والذى نفس محمد، بيده ما من خدش عود، ولا اختلاج عرق، ولا عثرة قدم، إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر) رواه ابن أبى حاتم(١).

وقال تعالى : ﴿ . . وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾ (القصص ٥٩).

وقال عز من قائل : ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا . . ﴾(النساء ١٤٧).

هذا والذنوب ـ بالنسبة للعفو عنها ـ نوعان : نوع يجوز أن يعفو الله تعالى عنه بغير قصاص، ونوع يستحيل العفو عنه مهما استغفر العبد ربه.

والنوع الأول هو ما تعلق بحقوق الله تعالى فى غير الشرك والكفر.

وأما النوع الثانى فهو ما تعلَّق بحقوق العباد فظلم النَّاس لا يعفو الله تعالى عنه أبدا إلا إذا عفا المظلوم، فلا بد إذن من القصاص، إما فى الدنيا وإما فى الدنيا والآخرة معا، فالظلم عاقبته وخيمة فى الدنيا والآخرة، ودعوة المظلوم مقبولة دائما، حتى ولو كانت من كافر، لأن الله تعالى لا يقبل الظلم من أحد أبدا، حتى ولو كان من مؤمن فى حق كافر، وقال ـ ﷺ ـ [اتق دعوة المظلوم، فانه ليس بينها وبين الله حجاب]

(١) أنظر تفسير ابن كثير لهذه الآية الكريمة.

رواه البخارى فى المغازى[1]. وقال ـ ﷺ ـ [ملعون من ضار مؤمنا أو مكر به] (رواه الترمذى).

هذا ويلاحظ أن الله تعالى قد يحاسب المتقين أولا بأول فى الدنيا، حتى يقبضهم إليه طاهرين من الذنوب، وأما الكافرون فقد يؤخر لهم العقوبة فى الآخرة فى بعض الأحيان، وهذا فيما عدا الظلم عقوبته تُعجَّل فى الدنيا، حتى لو تأخرت حينا من الدهر، كما جاء فى الحديث [.. ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ويقول الرب : وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين] (رواه الترمذى بسند حسن).

١٢ ـ سنة : الترف يؤدي إلى الدمار :

من قدر الله عز وجل الظاهر : أن الترف يؤدى إلى الدَّمار قال تعالى : ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾(الاسراء ١٦) فالله تعالى يأمر المترفين على لسان رسله أو ورثتهم من العلماء

باتباع الحق والاصلاح في الأرض لأن الله تعالى لا يأمر بالفحشاء فإذا رفض المترفون هذا الأمر، فإن هذا يكون إيذانا بنزول العذاب المدمِّر. والحق أن الترف سبب قوى لانهيار[2] الأمم من أكثر من وجه، فالترف يؤدى بالضرورة إلى شيوع الضعف والتخاذل بين الناس، لأن المترف لا صبر له على البأس والشدائد، ومن أجل ذلك فإن الأمة المترفة تكون عرضة للانهزام أمام غيرها من الأمم، ومن جهة أخرى فإن الترف ييسر سبل الفسق والفجور، فيكون هذا سببا للتعجيل بنزول غضب الله بعد إرسال النذر إلى المترفين، كما بينت أية الإسراء آنفة الذكر.

---

(١) باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن.

(٢) فى قراءة أخرى (أمَّرنا) بالتشديد أى جعل المترفين هم الأمراء.

(٣) وتعتبر الحروب العالمية فى العصر الحديث ـ من الأمثلة الحية على هذه السنَّة وكذلك ما يحدث فى لبنان منذ عدة سنوات الى يومنا هذا.

١٣ ـ سنّة : فقدان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يؤدى الى هلاك الأمم :

من قدر الله عز وجل الظاهر: أنه إذا فقد فى أمة من الأمم ـ الأمر المعروف والنهى عن المنكر فإن هذا يكون إيذانا بهلاكها ودمارها، ومن يدرس تاريخ الأمم وأخبار الملوك والدول قديما وحديثا يجد : أنه ما من دولة هلكت إلا بسبب فقدان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فيها، فلم تسقط دولة الإسلام العباسية سنة ٦٥٦هـ على يد هولاكو التترى إلا بعد أن كان الفساد قد استشرى، وفقدت الأمة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، أو أصبح فيها ضعيفا خافت الصوت، لا أثر له على غالبية الناس، ولقد بين القرآن الكريم هذه السنّة الكونية الهامة فى أكثر من آية : قال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾)هود ١٦ ـ ١٧).

هذا وإذا وقع العذاب فإنه لا ينجو فى الدنيا إلا الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، وأما الصالحون الساكتون فإنهم يؤخذون فى الدنيا مع الفجّار، ثم يبعث كلّ على نيته. وقد بينّ الله تعالى هذا فى قصة أصحاب السبت، إذ لم ينج منهم إلا الذين كانوا ينهون عن السوء : وقال تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً . . ﴾(الانفال ٢٥).

وعن النبى ـ ﷺ ـ قال : [ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصى ثم يقدرون على أن يغيّروا ولا يغيروا إلا يوشك أن يعمّهم الله بعقاب] (الترمذى[٢]).

١٤ ـ سنّة النصر والإملاء :

لقد قدّر الله تعالى أن النصر فى الدنيا لايناله إلا خاصة المؤمنين المتقين،

(١) أخرجه الطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة وله أكثر من شاهد : أنظر جامع الأصول لابن الأثير الجزرى جـ ١ ص ٣٣٢ رقم ١١٣.

(٢) انظر جامع الأصول للجزرى جـ ١ ص ٣٣١ رقم ١١١.

فالنصر ـ وهو أمر عظيم ـ لا ينزل إلا على طائفة معينة من المؤمنين، وهذه الطائفة حدد الله تعالى صفاتها فى الكتاب الأعظم، فلا يكفى لنزول النصر أن يكون المؤمنون صابرين على البأساء والضراء، حتى لقد مدح الله تعالى هؤلاء الصابرين قال تعالى: ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾(البقرة ١٧٧).

ولكن هناك امتحان آخر خطير وأشد وطأة بكثير من امتحان الصبر على المكاره كلها، ومن ينجح فيه يستحق نصر الله فى الدنيا قبل الآخره، وهذا الامتحان، الخطير هو الذى ربط به الله تعالى نصره: قال تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾(الحج ٤٠ ـ ٤١).

فنصر الله تعالى لا يتنزَّل إلا على من يعلم الله تعالى من قبله أنه إذا رزق التمكين فى الأرض والسلطان فإنه يطبق شرعه، فامتحان السلطان والتمكين فى الأرض أشد بكثير من امتحان الشر والضر، وهذا يفسر لنا كيف أن كثيرا من المؤمنين المتقين يمتحنهم الله فى الدنيا بالبأساء والضراء، ولا يمكِّن لهم فى الأرض، وهذا من رحمة الله تعالى بهم لأنهم رغم نجاحهم فى إمتحان الشر فإنهم قد يرسبون فى امتحان التمكين فى الأرض، فأهل نصر الله تعالى فى الدنيا هم أهل القدرة على أجتياز امتحان التمكين فى الأرض بنجاح.

فهذه السنَّة العظيمة ـ التى هى من قدر الله الظاهر ـ تفسر لنا كثيرا من الأحداث التى وقعت قديما وحديثا، فهى تفسر هزائم المسلمين أمام الكفار، وتفسر الإملاء الذى عليه أهل الكفر والمعاصى فى كثير من العصور، فالحقيقة أن علو الكفار فى الأرض ليس نصرا وانما هو إملاء من الله تعالى ومكر من الله بالكافرين فى كل زمان،قال تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾(آل عمران ١٧٨).

ويترتب على هذه السُّنة الخطيرة : أن المؤمنين الذين لم يستأهلوا النصر يستحيل عليهم أن ينتصروا، حتى ولو كانوا أكثر عددا وعدة من الكفار، إلا إذا أراد الله تعالى أن يفتنهم، فلا يكون هذا نصرا فى الحقيقة، لأن عاقبة عدم القيام بحق التمكين فى الأرض وخيمة.

وأما المؤمنون الذين استأهلوا النصر فلا بد أن ينتصروا مهما كانوا أقل عددا وعدة، وهم مع هذا مأمورون بالأخذ بأسباب القوة المادية على قدر استطاعتهم، ثم ينزل الله تعالى ـ بعد ذلك ـ نصره عليهم، وهذا هو الذى يكشف لنا عن السر فى قيام دولة الإسلام فى عهد النبوة، وعهد الخلافة الراشدة، فى سنوات قلائل، وقد قامت الدولة من العدم، فلم يكن المسلمون الذى أقيمت بهم هذه الدولة الفذّة، فى التاريخ كله، إلا حفنة من العرب الأميين الذين لم يكن لهم أي شأن فى التاريخ، ولم يكن لهم أي شأن بين الأمم، فأصبحوا أعظم أمة أخرجت للناس، بسبب استحقاقهم الكامل للنصر، وقد كانوا تلاميذ وصحابة سيد المرسلين ـ ﷺ ـ. هذا وقد استمرت الفتوحات الإسلامية فى عهد الدولة الأموية، وصدر الدولة العباسية ثم توقفت الفتوحات بعد ذلك بسبب عدم الاستحقاق للنصر، ويلاحظ هنا : أنه وإن كان بعض الملوك فى تلك الفترة قد ظلموا إلا أن غالبية الأمة كانت حينذاك مستأهلة للنصر.

فنصر الله تعالى لعباده فى الدنيا : أعزُّ وأصعب من دخول الجنة يوم القيامة، لأن الذين يستأهلون مجرد دخولها لا يشترط فيهم ما يشترط فيمن يستحق نصر الله فى الدنيا، وأعلى الدرجات فى الآخرة.

وأما الإملاء فهو ما قَّدره الله تعالى للكفار وللظلمة من المسلمين فى الدنيا، فالإملاء خير فى ظاهره فقط، ولكنه شر كبير، ومكر من الله عز وجل بمن يستحقه، فهو فى الحقيقة لا خير فيه لمن وقع به.

١٥ ـ سنة الدفع الإلهى تكمِّل سنَّة النصر والإملاء :

لقد قدَّر الله تعالى أن يحمي عباده المؤمنين الذين لم يستأهلوا للنصر ـ وهم كثيرون فى كل زمان ـ بقانون الدفع الإلهي، فمن سنن الله المشاهدة فى كونه : أنه لا يجعل جبارا واحدا يستحوذ على أهل الأرض فى غياب دولة الحق، أي دولة الإسلام

والمسلمين الذين استأهلوا للنصر ، ففي غياب أهل النصر يقسم الله تعالى الأرض بين عدد من الجبارين، ويجعل بعضهم يخشى بأس بعض، ولولا هذه السنة لما بقي مسلم على ظهر الأرض منذ غابت دولة الإسلام المنتصرة.

وقد بين الله تعالى هذه السنة في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾(البقرة ٢٥١).

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾(الحج ٤٠).

وجاء في تفسير[1] هذه الآية الكريمة : [أي لولا أن يدفع بقوم عن قوم ويكشف شرور أناس عن غيرهم بما يخلقه من الأسباب لفسدت الأرض، ولأهلك القوى الضعيف]. فإذا كان أهل الحق جماعة قوية ـ غير غائبين فإن الله تعالى يدفع بهم شرور الكفار ومفاسدهم في الأرض، كما دفع بسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، وصحابته معه ومن بعده : المفاسد التي كانت تغطي مشارق الأرض ومغربها في ذلك الوقت.

ولكن لما طال الأمد وقست القلوب وتفرق أهل الحق ـ مبعثرين في الأرض، لا حول لهم ولا قوة، دفع الله تعالى الجبارين بعضهم ببعض، ولولا هذا الدفع في كل زمان لهلك المؤمنون وأبيدوا من على ظهر الأرض.

والأمثلة على هذه السنة كثيرة، وأقرب مثال إلينا في العصر الحديث : الولايات المتحدة الأمريكية، وروسيا، فلقد سبقت أمريكا روسيا في الوصول إلى سر القنبلة الذرية، ففجرت قنبلتين ذريتين على اليابان[2]، غير عابئة بأحد، لأنها لم تكن لتخشى أحدا على ظهر الأرض، فهي الوحيدة التي معها القنبلة الرهيبة، ولكن الله

---

(١) ابن كثير في تفسيره لهذه الآية من سورة الحج.

(٢) لم يكن هذا من قبيل المصادفة أن تقع أول قنبلة ذرية على الأرض على أهل الأوثان في العصر الحديث بل كان هذا عقابا من الله تعالى لأولئك الوثنيين الذين كانوا يعبدون ملكهم حين نزول القنبلة الذرية عليهم.

تعالى ما كان ليترك الولايات المتحدة تحتفظ وحدها بهذا السلاح الرهيب، فطبقا لسنته فى دفع المجرمين من الجبارين بعضهم ببعض، كان من المحتم أن ينتقل هذا السر الرهيب إلى جبار آخر، وبذلك حصلت روسيا الملحدة بقدر الله تعالى على هذا السلاح أيضا، إذ جعل الله عز وجل أحد العلماء يهرب بالسر من أمريكا إلى روسيا، إعمالا لسنة الدفع الإلهى، فلولا حصول الجبار الملحد على هذا السر لاستحوذ الجبار الصليبى على الأرض.

ولولا هذه السنة لما استطاع المسلمون أن يحصلوا على بعض السلاح من روسيا ـ نكاية فى أمريكا ـ ليضربوا به اليهود فى لبنان مثلا، ولولا هذه السنة لما استطاع المجاهدون الأفغان أن يحصلوا على بعض السلاح من أمريكا ـ نكاية فى روسيا، وليس حبا فى الإسلام ـ لكى يدوِّخوا به روسيا.

فهذه السنة الحكيمة ـ التى هى من قدر الله الظاهر ـ يحمى بها الله تعالى الناس فى كل عصر من فتك الجبابرة بهم، فينشغل كل جبار بغيره من الجبارين، إلى الحد الذى يحقق الله به تعالى ما يريده بالناس من امتحانات، حتى يفيقوا ويعودوا إلى شريعة الله تائبين مستأهلين لنصر الله عز وجل، حينما يشاء سبحانه ذلك.

الفصل الثاني :
العلاقة بين هذين الأصلين من القدر

١٦ ـ التناقص الوهمي الذى يبدو فى الدنيا بين هذين الأصلين :

لا ريب أن هذا التنافص يبدو لأول وهلة، ويعرض للناس جميعا، وقد عرض لبعض الصحابة عليهم رضوان الله تعالى، فردهم الرسول ـ ﷺ ـ إلى الحق فورا : بأن أمرهم بعدم الخوض فيما لا علم لهم به، فعن أبي هريرة قال : [خرج علينا رسول الله ـ ﷺ ـ ونحن نتنازع فى القدر فغضب حتى احمر وجهه، حتى كأنما فقىء فى وجنتيه حب الرمان، فقال : أبهذا أمرتم؟! أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا فى هذا الأمر، عزمت عليكم أن لا تنازعوا فيه][1].

ويروى عن الإمام على رضى الله عنه : أنه سئل عن القدر فقال : [بحر عميق، فلا تغوصوه، وسر مكتوب، فلا تلجوه[2]، فالشيطان يأتى للناس ويقول لهم : لماذا تعذبون بما كتبه الله تعالى عليكم؟ ولكن هذا السؤال الذى يسأله الشيطان للناس مرفوض شكلا فلا يجوز بالتالى التعرض لموضوعه، لأن الشيطان هنا يحاول الجمع بين ما هو من عالم الغيب وما هو من عالم الشهادة، ولا يجوز عقلا أن نجمع بين أمرين متنافرين، وهذا من البداهة العقلية، فعلى سبيل المثال لو طلب منا أن نجمع ألف دينار كويتي وألف ريال سعودي فهل يجوز هذا الجمع بين هاتين العملتين المختلفتين إلا أخطر وأعظم، فإنه لا يمكننا أن نجمع بين ما هو مكفوف عنا، وما هو مشاهد لنا، إلا بعد أن يتحول ما هو مكفوف عنا إلى عالم الشهادة، فالأصل من القدر الذي هو من عالم الغيب يستحيل أن يتحول إلى عالم الشهادة إلا في يوم القيامة، وبالتالي فإن الجمع بينهما مستحيل في الدنيا، والتناقص هنا وهمى بداهة ـ لأن أحد الأصلين إنما هو من عالم الغيب، والأصل الآخر من عالم الشهادة،

(١) أخرجه الترمذى وهو حديث حسن (رغم أن اسناده فيه ضعف) الا أن له شاهدا عند ابن ماجه انظر جامع الأصول لابن الاثير جـ ١ ص ١٣٥.

(٢) أنظر التاج الجامع للشيخ منصور ناصف جـ ٤ ص ١٧٦ هامش، ١

فيجب إذن التسليم بالأصل الذي هو من عالم الغيب، مع التعامل مع الأصل الذي هو من عالم الشهادة، وقد ورد أن [عمرو بن العاص قال: أين أجد أحدا أحاكم إليه ربي، فقال أبو موسى: أنا ذلك المتحاكم إليه، فقال عمرو: أو يقدِّر عليَّ شيئا ثم يعذبني عليه؟ قال: نعم. قال عمرو: ولم؟ قال لأنه لا يظلمك، فسكت عمرو ولم يحر جوابا][1] فإن صحت هذه القصة فهي تدل على نقاء عقيدة الصحابة عليهم رضوان الله، فأبو موسى الأشعري، رد ابن العاص فورا إلى هذه البداهة العقلية والشرعية، وهي أن الله تعالى لا يظلم أحدا، ولكن لم يفصِّل له ما سأل عنه، فسكت عمرو، إذ قد علم أن التفضيل هنا مستحيل، لأن الأمر مكفوف عنا، وبالتالي التناقض هنا وهمي، ما دام بين أمرين من عالمين مختلفين، وأحدهما لا يُعرف عنه إلا القليل، بل أقل من القليل. فرد أبي موسى الأشعري على إيجازه الشديد جاء حاسما وبليغا، ويحمل معاني كثيرة، ولهذا سكت عمرو بن العاص على الفور، وما كان ليسكت ـ وهو ـ لولا أنه فهم ما قصد إليه أبو موسى، وقد حدَّث ابن الديلمي بأنه قد وقع في نفسه شيء من القدر، فذهب إلى أبي بن كعب فقال له: [لو أن الله عذَّب أهل سماواته وأهل أرضه عذَّبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم] ثم أتى عبدالله بن مسعود فقال مثل ذلك، ثم أتى حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك، ثم أتى زيد بن ثابت فحدثه عن النبي ـ ﷺ ـ مثل ذلك.

١٧ ـ إنكار الكتاب والسنة على من احتج بالأصل الذى هو من عالم الغيب :

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾(النحل ٣٥).

(١) ذكرت هذه القصة فى كتاب الملل والنحل للشهر ستانى جـ ١ ص ٩٤.

(٢) أخرج هذا الحديث أبو داود بإسناد حسن: أنظر جامع الأصول لابن الأثير جـ ١٠ ص ١٠٦ رقم ٧٥٧٥ فيما قاله أبو موسى لعمرو مرفوع إلى النبى ـ ﷺ ـ فى هذا الحديث وقد رفعه زيد بن ثابت ـ ولكن يلاحظ هنا أيضا أن الرسول ـ ﷺ ـ والصحابة من بعده لم يزد على غير اثبات استحالة الظلم من الله تعالى ولم يفصل شيئا من ذلك.

١٨ ـ الإنكار على من ركن إلى أحد الأصلين ولم يؤمن بالأصل الآخر : ذم القدرية والمرجئة .

كما نهى الله تعالى عن الاحتجاج بالأصل الذى هو من عالم الغيب، فهو فى الوقت نفسه أمر بالإيمان به غيبا كما سلف البيان، ولقد نهى الله تعالى أيضا عن الركون إلى الأصل الذى هو من عالم الغيب، وإهمال الأصل الذى هو من عالم الشهادة، قال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾(المائدة ١٨).

﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾(البقرة٨١).

فقد زعمت اليهود والنصارى : أنهم أحباب الله، ولذلك فهو سينجيهم من النار مهما فعلوا من ذنوب، فأنكروا بذلك الأصل الذى هو من عالم الشهادة، وهو أن كل إنسان محاسب بعمله. ولقد حكى القرآن : أن اليهود زعموا أيضا أنهم سيمكثون فى النار أياما معدودة، فقد نقل عنهم : أنهم زعموا ـ كذبا على الله ـ أنه سبحانه يدخلهم إياها أربعين ليلة، حتى تطهرهم، وتأكل خطاياهم، ثم ينادى منادٍ : أن أخرجوا كل مختون من ولد إسرئيل، فأخرجوهم[1].

وإنه لمن المعلوم من أكاذيب النصارى على الله تعالى : أنهم زعموا أن المسيح عليه السلام عذب وصلب، لكى يكفر الخطايا عنهم، فأهدروا بذلك الأصل الذى هو من عالم الشهادة، ولذا رد الله عليهم جميعا بقوله : ﴿ . . قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم . . ﴾(المائدة ١٨).

---

(١) أنظر تفسير بن كثير فى هذه الآية ١٨ من المائدة.

﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾(الأنعام ١٤٨ ـ ١٤٩).

فالله تعالى ينكر على المشركين احتجاجهم عليه بالأصل الذى هو من عالم الغيب، ولكن الله تعالى يؤكد هذا الأصل، وإنما يمنع الاحتجاج به، لأن الناس فى الدنيا لا علم لهم بحقيقة هذا الأصل، ولا يجوز الاحتجاج بأمر غير معلوم، قال تعالى: ﴿ . . هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ . . ﴾(آل عمران ٦٦).

هذا ولقد جاء تأكيد الأصل الغيبى فى الآية مباشرة لإنكار الاحتجاج بهذا الأصل فقال تعالى: ﴿**فلو شاء لهداكم أجمعين**﴾

فالإنكار ينصب على الاحتجاج بالأصل، مع تأكيد وجود هذا الأصل المكفوف عنا. وأول من أحتج على الله تعالى بالقدر هو إبليس اللعين، قال عز وجل حاكياً عنه ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾(الأعراف ١٦) فاحتج اللعين على الله عز وجل: بأنه قدَّر عليه الغواية، فكل من احتج بالقدر على الله هو من أتباع إبليس اللعين.

هذا وقد جاء فى الحديث القدسى عن النبى ـ ﷺ ـ فيما يرويه عن رب العزة قال: ﴿يا عبادى، إنما هى أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه﴾(رواه مسلم[1]).

وقوله: فلا يلومن إلا نفسه، أى: لا يجوز له الاحتجاج بما كتبه الله عليه، وإنما عليه أن يلوم نفسه وحدها، لأنه لم ينتفع بالأصل الذى هو من عالم الشهادة.

---

(١) أنظر الأربعين النووية حديث رقم ٢٤.

وكما ضلت اليهود والنصارى بإهدارها الأصل من القدر الذى هو من عالم الشهادة، ضلت بعض الفرق من المسلمين فى هذا الأمر، ومن هؤلاء: طوائف[1] الذين اتفقوا على أنه لا يضر مع الإيمان معصية، فمهما ارتكب المؤمن من آثام فهو مغفور له لا محالة، ولن يدخل النار، كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة، ومن حجج بعضهم في أنه لا عقاب على المسلم فى عصيانه : أنه مقهور، وأن الأدلة التى وردت على عقابه مراد بها الزجر فقط، وهذا كلام سقيم، وواضح فيه التناقض، لأن هذا كما يصدق على المسلم فهو يصدق على الكافر أيضا، فكلاهما مقهور فمقتضى هذا المنطق السقيم : أن الكافر لا يعذب أيضا، ولذا، فإن كلامهم فيه تناقض واضح، وإهدار للشريعة فى الوقت نفسه.

هذا وقد تنبأ رسول الله ـ ﷺ ـ بالمرجئة، كما تنبأ أيضا بالقدريه الذين أنكروا الأصل الذى هو من عالم الغيب، وركنوا إلى الأصل الذى هو من عالم الشهادة وحده، قال ـ ﷺ ـ [صنفان من أمتى ليس لهما فى الإسلام نصيب : المرجئة والقدرية] (رواه الترمذى بسند صحيح[2].

وأما القدرية فقد ركنوا إلى الأصل الذى هو من عالم الشهادة وتركوا الأصل الغيبى، وهم طوائف.

فمنهم: من زعم أنه لا قدر، وأن العبد يخلق أفعال نفسه.

ومنهم: من زعم أن الله سبحانه لا شأن له بهذا الخلق، وأنه لا يملك منع العبد من إتيان الشر[3] فالخالق عندهم اثنان : الله، والعبد فى أفعاله الاختيارية، وهم فى هذا

---

(١) انظر فى تفصيل أقوالهم الملل والنحل للشهر ستانى جـ ١ ص ١٤٠ وما بعدها وقد زعم بعض الناس أن أبا حنيفه وصاحبيه والحسن بن محمد بن على بن أبى طالب وسعيد بن جبير وغيرهم من المرجئه وهذا كذب على هؤلاء الأئمة، فهم يقولون : إن مرتكب الكبيرة ليس بكافر أى لن يخلد فى النار وهذا صحيح ولكن شتان بين هذا الكلام وبين أقوال الذين أسقطوا الطاعات كلها ما عدا الإيمان بالله وأهدروا أصل القدر الذى هو من عالم الشهادة، ويلاحظ من جهة أخرى : أنه لا ينفع مع الكفر طاعة لأن الكفر عقابه الخلود فى النار، فهذا صحيح، ولكن ما زعمته الجبرية باطل من أساسه.

(٢) أنظر التاج الجامع للشيخ منصور ناصف جـ ١ ص ٣٤.

(٣) والمعتزلة من القدرية ولكنهم تخففوا فقالوا إن العبد يخلق الشر بقدرة أودعها الله فيه ولكنهم ضلوا وزعموا أن الله تعالى لا يخلق الشر فهو منزه عن ذلك فى زعمهم الباطل (أنظر الملل والنحل للشهر ستانى جـ ١ ص ٤٥).

يشبهون المجوس الذين يعتقدون بإلهين: إله الخير، وإله الشر في زعمهم الكاذب، ولذا شبه الرسول ـ ﷺ ـ القدرية بالمجوس، فقال: [القدرية مجوس هذه الأمة، فإن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم] أخرجه أبو داود بسند صحيح(١).

وهذا الحديث من رواية عبد الله بن عمر، وفي حديث آخر من رواية حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: [لكل أمة مجوس، ومجوس هذه الأمة الذين يقولون: لا قدر، من مات منهم فلا تشهدوا جنازته، ومن مرض منهم فلا تعودوه، هم شيعة الدجال وحق على الله أن يلحقهم بالدجال]. (أخرجه أبو داود أيضا). فهذه الأحاديث صريحة في ضلال من لم يؤمن بالقدر.

هذا، ولقد وردت آيات كثيرة محكمة، تؤكد أن المؤمنين محاسبون عن ذنوبهم، هذا، ولا يصح هنا الاحتجاج بقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الزمر ٥٣) فهذه الآية جاءت عامة، وعمومها خُصِّص بأكثر من مخصص، فهي مخصصة أولا بقوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (النساء ١٨).

فآية النساء أخرجت من التوبة كل من تاب من ذنوبه حين أو قبيل الغرغرة، فلا تقبل التوبة إلا قبل معاينة الغرغرة، وإن كان كافرا، فلابد له من أن يؤمن قبل معاينة الغرغرة، وإلا مات كافراً، فيخلد في النار، ولا أمل لمثل هذا في عفو الله

(١) أنظر التاج الجامع للشيخ منصور ناصف جـ ١ ص ٣٤ هامش ٢ هذا ويلاحظ أن هذا الحديث وغيره من الأحاديث التي وردت في القدرية والمرجئة تعتبر ضعيفة عند بعض علماء الحديث (أنظر جامع الأصول لابن الأثير جـ ١٠ ص ١٢٩ هامش (١) ص ١٣٠ هامش ٢ وذكر ابن الأثير أن بدعة القدر أدركت آخر عهد الصحابة فأنكرها من كان منهم حيا كعبد الله بن عمر وابن عباس وأمثالهما واكثر ما يجيء من أيهم فانما هو موقوف من قولهم. ولكن يلاحظ أن الشيخ منصور ناصف ذكر أن الحديث صحيح وعلى أية حالة فإن معنى الحديث لا شك فيه لأنه يتفق مع موقف القرآن الكريم من هذا الضلال كما سلف البيان.

(٢) أنظر بند (١) من هذا البحث.

تعالى عنه بعد دخول النار، وهذا هو المقصود من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ . . ﴾(النساء ٤٨) فمن مات على الشرك أو الكفر **بصفة** عامة فهو خالد فى النار، وأما سائر الذنوب فإن المؤمن المرتكب لها **يُعذَّب بها** فى **النار** الفترة التى يقدرها الله له، ثم يخرج بعد ذلك إلى الجنة، كما أنه **توجد** ذنوب **لا** يعفو الله تعالى عنها أبداً، بل لا بد فيها من القصاص، إلا أن يعفو صاحب الحق، **وهذه** الذنوب هى المظالم، فمن عدل الله تعالى رد المظالم إلى أهلها، إلا أن يعفو صاحب الحق نفسه، والقصاص فى المظالم ثابت فى الصحيح، فى حديث المفلس - وغيره - وهو الذى يأتى يوم القيامة بصلاة وحج وصيام وزكاة، ولكنه ضرب وسبَّ واعتدى **على** الناس، فيؤخذ من حسناته لمن ظلمهم، حتى إذا فنيت حسناته طرحت عليه سيئات من ظلمهم، ثم يطرح فى النار، مع أنه مؤمن قد عمل الصالحات، كما هو ثابت بالحديث[1] فهذا الحديث مُخصِّص[2] أيضا لعموم آية الزمر آنفة الذكر).

ويضاف إلى ما تقدم : أنه لا جدال فى أن المسلم مرتكب الكبيرة ليس بكافر، فهذا ثابت بالسنة الصحيحة، ولكن يلاحظ من جهة أخرى : أن الولوغ فى الذنوب خصوصا الكبائر مع الإصرار عليها ولمدة طويلة وعدم الاستغفار فإن هذه الحالة قد تؤدى إلى الكفر، كما قال تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ . . ﴾ (المطففين ١٤).

فالاستمرار في المعاصي بدون توبة قد يؤدي إلى أن يعلو الران القلب، فيصبح المرء كافرا بعد أن كان مؤمنا، وهذه الفترة تتم حينما يعلو الران القلب تماما، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق، وقد روي عن النبى - ﷺ - قال : [إن العبد إذا أذنب ذنبا

---

(١) وهو ثابت بالصحيح.

(٢) وتخصيص عام القرآن بحديث الآحاد الصحيح جائز عند أكثر أهل العلم، لأن التخصيص ليس كالنسخ، فهو لا يحمل معنى التعارض، ولا يخالف فى هذا إلا أبو حنيفة، فهو يذهب إلى أن عام القرآن الذى لم يخصص من قبل لا يجوز تخصيصه بخبر الواحد، فإن خصص مرة فإنه يجوز تخصيصه بعد ذلك بخبر الواحد الصحيح ويلاحظ أن آية الزمر مخصصه بآيات أخرى. أنظر فى ذلك أصول البزدوى جـ ١ ص ٢٩٠ وكتاب تنقيح الأصول للقرافى ص ٩٠ (مالكى) والأحكام للآمدى.

كانت نكتة سوداء فى قلبه، فإن تاب منها صقل قلبه، وإن زاد زادت، فذلك قول الله تعالى : ﴿كلا بل ران الآية﴾ وفى رواية أخرى [إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكت فى قلبه نكتة سوداء، فإن هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه، فإن عاد زيد فيها، حتى تعلو قلبه، فهو الران الذى قال تعالى :﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾.

وفي رواية الإمام أحمد [إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء فى قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه، فإن زاد زادت، حتى تعلو قلبه، وذاك الران الذى ذكر الله فى القرآن. .][1] فالحديث يتكلم عن المؤمن الذى يرتكب المعاصى، لأنه ذكر الاستغفار، ومن هذا يتضح : أن المعاصى تضر مع الإيمان فى الدنيا والآخرة، وليس صحيحا ما زعمته الجبرية : من أنه لا يضر مع الإيمان معصية.

١٩ ـ بيان المقصود من احتجاج آدم على موسى (عليهما السلام) بالقدر :

ثبت فى الصحيح عن النبى ـ ﷺ ـ قال : [حاج آدم موسى، فقال : أنت الذى أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم. قال : فقال آدم لموسى : أنت الذى اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، أتلومُنى على أمر كتبه الله على قبل أن يخلقنى، أو قدره على قبل أن يخلقنى؟ قال رسول الله ـ ﷺ ـ : فحج آدم موسى] (رواه البخارى ومسلم).

فهذا الحديث قد يبدو ـ خطأ ـ لأول وهلة : أنه حجة للجبرية، ولكن هيهات هيهات! وهاكم البيان :

فيلاحظ أولا : أن هذا الحديث الصحيح لا يقوى على معارضة محكم القرآن، أى القطعى الدلالة، (والقرآن كله قطعى الورود) فهذا الحديث ظنى الدلالة، راجح الورود، وليس قطعيا (لأنه ليس متواترا) فيتعين أن يحمل على المعنى الذى لا يتعارض مع ما هو ثابت بالقرآن قطعاً، من عدم جواز الاحتجاج بالقدر.

(١) روى هذا الحديث ابن جرير والترمذى والنسائى وابن ماجة وأحمد وقد جاء فى تفسير ابن كثير لهذه الآية (والران يعترى قلوب الكافرين) فالمؤمن الذى يصر على الكبائر ولا يستغفر ولا يتوب ويظل على هذا مدة فإنه فى خطر عظيم اذ هو معرض طبقا للآية الكريمة والحديث أن يعلو قلبه الران واذا علا قلبه الران فقد خرج الإيمان من قلبه.

فلا يجوز إذن الاحتجاج بهذا الحديث لقول الجبرية، فهو احتجاج مرفوض أصلا.

ويلاحظ ثانيا : أن هذا الحديث الصحيح لا يفيد الاحتجاج للذنب بالقدر، وإنما هو يفيد الاحتجاج للمصيبة بالقدر، وهذا مطلوب شرعا، فمن المعلوم : أن آدم عليه السلام عندما عصى الله تعالى لم يحتج على الله بالقدر، وإنما أقر بذنبه، وطلب التوبة هو وزوجه، قال تعالى حاكيا عنهما : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾(الأعراف ٢٣). فقد أقر بذنبه، وطلب المغفرة والرحمة من الله تعالى. فآدم عليه السلام هو وزوجه لم يحتجا على الله بالقدر، وإنما تابا وأنابا إلى الله. وأما الذى احتج على الله تعالى بالقدر فهو إبليس اللعين، أستاذ الكافرين، إذ قال كما حكى عنه الله تعالى : ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (الأعراف ١٦).

واما احتجاج آدم هنا على موسى (عليهما السلام) فهو احتجاج للمصيبة، لأن موسى عليه السلام لام آدم، لأنه تسبب فى مصيبة شقاء البشر جميعا على الأرض بخروجه من الجنة، فبين له آدم : أن هذه المصيبة التى أصابت البشر كتبها الله عليهم قبل أن يخلق آدم، فلا داعى للحزن عليها، ولا مجال لمعاقبة آدم على تسببه فيها، لأن الله تعالى تاب عليه، فاحتجاج آدم هنا إنما هو احتجاج للمصيبة، لأن المصيبة إذا نزلت أيا كان سببها ـ أى بسبب فعل آدم أم بغيره ـ هى أصلا من الله تعالى، كما قال تعالى : ﴿**ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير ـ لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور**﴾(الحديد).

فآدم عليه السلام لا يحتج هنا بالقدر لذنبه، فإن ذنبه قد غُفر من الله تعالى، وإنما هو يبين لموسى عليه السلام : أنه لا يجوز له أن يحزن لما أصابه وأصاب البشر جميعاً من شقاء بسبب ذنب أبيهم، فإن هذا أمر قد كتبه الله تعالى، فعليه أن يرضى

(١) أنظر فى هذا المعنى ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية فى كتاب القدر ص ١٠٩ وما بعدها (مجموعة فتاوى ابن تيمية المجلد الثامن).

بقضاء الله تعالى، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ﴾(التغابن ١١) قال بعض السلف: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم، ولكن هذا لا يمنع من عقاب المسيء إذا كانت المصيبة قد وقعت بفعل فاعل من البشر، ولا يجوز لهذا الفاعل الاحتجاج بالقدر لدرء العقوبة عنه، وهذا فى الحقيقة من مكر الله عز وجل بالظالمين، لما علمه من غشٍ فى قلوبهم فهو يمكر بهم، ويجعلهم أسبابا لما قدرَّه الله تعالى، ليعاقبهم على نيتهم السيئة فى ظلم الناس، فالظالم لا يظلم إلا نفسه فى الحقيقة، وهو يعرض نفسه لمكر الله عز وجل به، كما قال تعالى ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ (آل عمران ٥٤).

فمن نزلت به المعصية عليه ألاَّ يحزن، ويردها إلى قدر الله تعالى، ولكن من تسبَّب فى هذه المعصية بخطئه ليس من حقه أن يحتج بقدر الله الغيبى، بل الله والناس يحتجون عليه بالأصل الذى هو من عالم الشهادة، وهو أن كل إنسان يشهد من نفسه: أنه يستطيع أن يختار بين الخير والشر، فإن اختار الشر فلا يلومَنَّ إلا نفسَه، ولا سبيل له إلى الاحتجاج بالأصل الغيبى، أى ما كتبه الله عليه، فهذا ذنب جديد أشد وأشنع بكثير من ذنبه فى التسبب فى الإضرار بغيره.
فهذا هو إذن قصد آدم عليه السلام، فهو يحتج للمصيبة، ولا يحتج للذنب، فكان آدم أفقه من موسى فى هذه المسألة.

وأما الضالون الذين حاولوا تأويل هذا الحديث وفقا لهواهم، فتأويلهم مستحيل شرعا، لأن الحديث أصلا لا يقوى على معارضة محكم القرآن.

٢٠ ـ بيان المقصود من قوله تعالى: [قل كل من عند الله]، [وما أصابك من سيئة فمن نفسك]

تعلّق مثبتو القدر ونفاته جميعا بهاتين الآيتين من قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ

حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾(النساء ٧٨ ـ ٧٩).

فتعلق مثبتو القدر من المرجئه وغيرهم من الضالين بقوله تعالى﴿**قل كل من عند الله**﴾ وتعلق نفاة القدر من القدرية الضالين بقوله تعالى : ﴿**ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك**﴾

وقد ردَّ شيخ الاسلام ابن تيمية على أولئك الضالين جميعا ردًّا قويا واضحا، فقال : [وأما القرآن فالمراد منه هنا بالحسنات والسيئات : النِّعم والمصائب، وهذا كقوله تعالى : ﴿**إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا**﴾ وكقوله : ﴿**إن تصبك حسنة تسؤهم وان تصبكم مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون ـ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا**﴾الآية ومنه قوله تعالى : ﴿ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(الأعراف ١٦٨))كما قال تعالى : ﴿**ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون**﴾أي بالنعم والمصائب.

هذا بخلاف قوله : ﴿**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها**﴾وأمثال ذلك، فإن المراد بها الطاعة والمعصية، وفى كل موضع ما يبين المراد باللفظ، فليس فى القرآن العزيز بحمد الله تعالى إشكال، بل هو مبين، وذلك أنه إذا قال : (ما أصابك) وما (مسك) ونحو ذلك كان من فعل غيرك بك، كما قال : ﴿**ما أصابك من حسنة . . وما أصابك من سيئة**﴾وكما قال : ﴿**إن تصبك حسنة تسؤهم**﴾وقوله تعالى : ﴿**وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم**﴾. وإذا قال ﴿**من جاء بالحسنة**﴾كانت من فعله، لأنه هو الجائى بها، فهذا يكون فيما فعله العبد، لا فيما فُعِل به.][1].

(١) نقلا عن كتاب القدر لابن تيمية ص ١١١، ١١٢ من المرجع السابق بيانه.

من هذا يتضح : أنه لا تناقض بين قوله تعالى : ﴿**قل كل من عند الله**﴾ وقوله : ﴿**ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك**﴾، فالمقصود من قوله (كل من عند الله) أن المصائب والنعم جميعها بقدر الله، وهذا هو الأصل الغيبى الذى يُؤمَنُ به ولا يحتج به، والمقصود من قوله﴿**ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك**﴾ أن ما يصيب الأنسان من نعم فبفضل الله تعالى عليه وتوفيقه، وما يصيبه من مصائب فبذنوبه، وهذا هو الأصل الذى من عالم الشهادة، وهو كما قال تعالى﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾(الشورى ٣٠) فهذا إثبات للأصلين من القدر معا.

٢١ ـ بعض علماء أهل السنة يحاولون التوفيق بين الأصلين تفصيلا دون جدوى :

حاول علماء غير قليلين ـ من غير الصحابة ـ تفصيل العلاقة بين الأصلين ـ أنفى الذكر ـ من القدر، فلم يصلوا إلى شيء، وكيف يصلون إلى ما سكت الشرع عنه من أمور العقيدة؟ وأقصد بالعلماء هنا : علماء أهل السنة، لأن أهل الفرق الضالة لم يحاولوا التوفيق، وإنما ـ فى الغالب ـ ركنوا إلى أحد الأصلين، وأنكروا الأصل الآخر. ومن أجل ذلك حاول بعض علماء أهل السنة الرد عليهم عن طريق تفصيل العلاقة بين هذين الأصلين بما يرفع التناقض الوهمى البادى بينهما لأول وهلة، والذى يرجع فى الحقيقة إلى أن أحد الأصلين مكفوف عنا تماما، ونؤمن به غيبا، وبالتالى يستحيل عقلا أن يقارن بالأصل الآخر المشاهد.

ومن العلماء الذين حاولوا التوفيق بين الأصلين (الغيبى والمشاهد) تفضيلا : أبو الحسن الأشعرى[1]، وصاحبه القاضى أبو بكر الباقلانى[2]، وإمام الحرمين

---

(١) هو أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعرى توفى سنة ٣٢٤هـ.
(٢) القاضى أبو بكر الباقلانى توفى سنة ١٤٠٣هـ

الجوينى[1]، وأبو اسحاق الإسفراييني[2]، وأبو حامد الغزالى[3]، والفخر الرازى[4]، والآمدى[5]، وشيخ الاسلام ابن تيميه[6]، هذا، ولا فائدة من نقل أقوال هؤلاء العلماء[7] هنا، حتى لا نتزلق إلى المخالفة إلى ما نهى عنه، ولقد باءت هذه المحاولات جميعها بالفشل، إذ لم يستطع أحد أن يحل الإشكال بين الأصلين، وندعو الله تعالى : أن يكون لهؤلاء العلماء أجرهم عند الله على محاولاتهم للذَّب عن دين الله، فهم ما دخلوا فى هذه التفصيلات إلا للرد على أهل الأهواء من الفرق، وعلى الفلاسفة من المسلمين وغيرهم.

٢٢ ـ تكرار مفيد هنا : موقف الرسول ـ ﷺ ـ هو منع التفصيل، وكذلك موقف الصحابة :

هذا ونكرر هنا : أن رد الرسول ـ ﷺ ـ وصحابته على ما أثير حول القدر اقتصر على الإجمال دون التفصيل، وعلى المنع من الخوض فى هذا الكلام، فالرسول ـ ﷺ ـ غضب أشد الغضب حينما رأى بعض الصحابة يتنازعون فى القدر، فقال لهم : [أبهذا أمرتم؟ أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا فى هذا الأمر، عزمت عليكم أن لا تنازعوا فيه][7].

---

(١) إمام الحرمين أبو المعالى عبد الملك بن أبى محمد عبد الله بن يوسف الجوينى وهو فقيه شافعى وهو ممن دافع عن الأشعرية توفى سنة ٤٧٨.

(٢) أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الاسفراييني الملقب بركن الدين وهو فقيه شافعى توفى سنة ٤١٨.

(٣) هو حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزالى الفقيه شافعى توفى سنة ٥٠٥هـ.

(٤) هو الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازى وهو الأصولى الفقيه المتكلم توفى سنة ٥٤٤ هـ وهو شافعى.

(٥) هو أبو الحسن سيف الدين الآمدى الأصولى الفقيه المتكلم (شافعى) متوفى سنة ٦٣١هـ.

(٦) رد شيخ الإسلام ابن تيميه (متوفى سنة ٧٢٨هـ) على هؤلاء جميعا فدخل بدوره فى التفصيل.
وهذه الأقوال مبسوطة فى كتاب الملل والنحل للشهرستانى، وكتاب القدر لابن تيميه (من مجموع فتاويه) وكتاب درء تعارض العقل والنقل لابن تيميه.

(٧) أخرجه الترمذى وهو حديث حسن وما ورد فى الصحيح يؤكد معناه.

وما ورد فى الصحيح يؤكد امتناع الرسول ـ ﷺ ـ عن تفصيل العلاقة بين الأصلين، ويكتفى بالأمر بالإيمان بالأصلين معا، مع التعامل مع الأصل المشاهد فقط، وهذا واضح فى الحديث الصحيح الذى سأل فيه سراقة بن مالك الرسول ـ ﷺ ـ قائلا : [يا رسول الله، فيم العمل اليوم؟ فيما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير؟ أم فيما نستقبل؟ قال : اعملوا، فكل ميسر لما خلق له، وكل عامل بعمله] (رواه مسلم[1]) وقد روي عن الإمام على رضى الله عنه : أنه سئل عن القدر فقال : [بحر عميق فلا تغوصوه، وسر مكتوم فلا تلجوه][2] وحديث ابن الديلمى يبين لنا إجماع فقهاء الصحابة على هذا المنع، من تفصيل العلاقة بين الأصلين (الغيبى والمشاهد) من القدر، فقد حدَّث ابن الديلمى : بأنه قد وقع فى نفسه شيء من القدر فذهب إلى أبى بن كعب فقال له (أبى إبن كعب) [لو أن الله عذَّب أهل سماواته وأهل أرضه عذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم] ثم أتى عبد الله بن مسعود فقال مثل ذلك، ثم أتى حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك، ثم أتى زيد بن ثابت فحدثه عن النبى ـ ﷺ ـ مثل ذلك[3] وأما عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقد كان يضرب من يحاول الخوض فى المتشابهات، وقصته مع صبيغ بن عسل التميمى معروفة، فقد جاء يسأله عن الذاريات والمقسمات أمرا، والجاريات يسرا (من سورة الذرايات) فأجابه عمر عما سأله، ثم أمر بضربه مائة، وجُعل في بيت، فلما برىء دعابه فضربه مائة أخرى، وأرسله، وكتب إلى أبى موسى الأشعرى : أن يمنع الناس من مجالسته، فلم يزل كذلك حتى أتى أبا موسى فحلف له بالأيمان المغلظة ما يجد فى نفسه مما كان يجد شيئا، فكتب فى ذلك إلى عمر، فكتب له عمر : بأن يخل بينه وبين الناس[4]. فعمر رضى الله عنه ضرب صبيغا مائتى جلدة تعزيزا، لأنه وجده يفتح باب الفتنة فى هذه الأسئلة التى سألها، وهى تافهة بالنسبة لما قيل ـ بعد ذلك ـ فى القدر، ولا يعلم إلا الله تعالى ما كان عمر رضى الله عنه فاعلا

---

(١) أنظر جامع الأصول لابن الأثير جـ ١٠ ص ١١٢ حديث رقم ٧٥٨٠.

(٢) انظر التاج الجامع للشيخ منصور جـ ٤ ص ١٧١ هامش ـ١

(٣) أخرجه أبو داود باسناد حسن : أنظر جامع الأصول لابن الأثير جـ ١٠ ص ١٠٦ رقم ٧٥٧٥.

(٤) أنظر تفسير ابن كثير لسورة الذاريات، والحافظ بن عساكر فى ترجمته لصبيغ ابن عسل التميمى.

لو كان سمع ما قيل من بعده من مناقشات حول تفصيل العلاقة بين الأصلين من القدر.

٢٣ ـ أسباب فشل محاولات العلماء لتفصيل العلاقة بين الأصلين :

لقد فشلت جميع المحاولات التي بذلت لتفسير الأصلين معا بطريقة ترفع التناقض الوهمي البادي لأول وهله بينهما، والحق أن هذا الفشل يرجع إلى أكثر من سبب، ونبينها فيما يلي :

السبب الأول : انتماء الأصلين إلى عالمين مختلفين :

يوجد اختلاف طبيعي بين الأصلين من القدر آنفي الذكر، لأن أحدهما ينتمي إلى عالم الغيب المكفوف عنا، والثاني ينتمي إلى عالم الشهادة المحسوس لنا. ولذلك فإن الجمع بينهما مستحيل، ما لم يتحول الأصل الغيبي إلى عالم الشهادة، وهذا أمر مستحيل في الدنيا، فاستحالة الجمع بين الأصلين أمر بدهي، فهو من المسلمات، والأمور البديهية لا يجوز أن تكون محل مناقشه، وإذا اصطدم الإنسان بالبداهة العقلية فإنه لا بد له أن يفشل، وهذا هو السر في فشل جميع محاولات الجمع بين الأصلين.

السبب الثاني : ما سكت الشرع عن تفصيله من أمور العقيدة يستحيل عقلا وشرعا حله عن طريق أهل العلم :

الأصل في العقيدة الحظر والمنع والتوقيف، فلا يزاد في أمور العقيدة ولا ينقص منها إلا بنص وارد بالكتاب أو بالسنة الصحيحة، ومن هنا نفهم قوله ـ ﷺ ـ : [من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد] رواه البخاري ومسلم[1].

فالعقيدة هي أصل الدين، ولذلك كان الأصل فيها الحظر والتحريم، ومن ثم فإنه لا يجوز أن يفصل ما أجمله الشرع منها، ولو تصور أحد غير ذلك فإن هذا التصور فاسد شنيع، لأن معناه أن الدين ناقص، ولا يكتمل إلا بمجيء العلماء

(١) أنظر الأربعين النووية الحديث الخامس.

الذين يتكلمون فيه، ويكملون ما به من نقص، والحق : أن الدين قد اكتمل قبيل موت آخر الأنبياء وخاتمهم عليه الصلاة والسلام، فقد أنزل الله تعالى عليه في أواخر أيامه : ﴿ . . ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا . . ﴾ (المائدة ٣).

ومن هذا يبين : أن كل ما سكت عنه القرآن وسكتت عنه السنة الصحيحة من أمور العقيدة فليس لأحد أن يتكلم فيه، وكل ما أجمله الشرع ولم يفصله فليس لأحد أن يفصله، حتى ولو كان حسن النية، يريد أن يرد بهذا التفصيل على أهل الأهواء، فإنه مع حسن نيته لا بد أن يفشل، لأنه طرق بابا أغلقه الله تعالى إلى يوم القيامة، فكيف يتأتى له أن يفتح ما أغلقه الله تعالى في الدنيا! ولما كان الأصل في أمور العقيدة هو الحظر لا الإباحة، فإن هذه الأمور لا تقبل جديدا بعد موت الرسول - ﷺ -.

وأما أمور العادات والمعاملات فالأصل فيها : الإباحة، ولذا فهي تقبل كل جديد في كل زمان ومكان، بشرط ألا يتعارض هذا الجديد مع نص ثابت، فاستحداث العادات الجديدة التي لا تعارض نصا ثابتا - ليس فيه أي مساس بالشريعة، وعلى العكس من ذلك فإن استحداث أقوال جديدة في أمور العقيدة يهدر أصول الدين إهداراً تاما. فالعقيدة هي أصل الدين الثابت، وقد اكتمل هذا الأصل تماما بوفاة خاتم النبيين - ﷺ -، ومن غير المعقول أن يظل أصل الدين ناقصا في حاجة إلى الاستكمال، حتى يأتي عالم في عصر من العصور ويستكمل هذا الأصل، فإنه لا نبيَّ بعد محمد - ﷺ -.

وأما الرد على الفرق الضالة : فإنه لا يحتاج إلى تفصيل ما تعمدت الشريعة إجماله، لأن الله ورسوله أعلم، فما دام الشارع قد أجمل أمرا من أمور العقيدة فهذا معناه أنه لا يحتاج إلى تفصيل. ولذلك نجد أن فقهاء الصحابه عليهم رضوان الله تعالى كانوا يردون على من يسألهم في القدر من سائر الصحابه ردا مجملا حاسما، ويمنعونهم من التفصيل والخوض، أسوة برسول الله - ﷺ -

٢٤ ـ كيفية الرد على أهل الضلال فى أمور القدر :

الواقع أن الرد على الشبهات التى يثيرها أهل الزيغ والضلال فى أمور القدر سهل ميسور من قديم، وهو اليوم أصبح أكثر تيسيرا، فيكفي للرد عليهم فى هذا الأمر أن يوضح لهم أن الكلام فى تفصيلاته ممنوع أصلا، لأنه علم أغلقه الله تعالى الى يوم القيامة، فالبحث فيه مستحيل، وقد نهى الله تعالى عنه، قال عز من قائل : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ (الإسراء) ـ آية : ٣٦ ـ

ويلاحظ بنحو ما تقدم : أن الرد العلمي البحت على هذا الزيع أصبح اليوم أكثر تيسيرا، ذلك أنه قد ثبت فى العصر الحديث للعلماء الماديين الملحدين أنفسهم : أن الإنسان لم يؤت من العلم إلا قليلا، كما صرح القرآن بذلك من قبل.

فقد ثبت علميا أن الأنسان لا يعرف إلا الظواهر فقط، وهو أقل من أن يعرف حتى كنه المادة التى تكون منها جسمه، رغم أنه توغل فى هذه المادة إلى أبعاد سحيقه، حتى توصل إلى معرفة شيء عن الذرة التى تتكون منها العناصر المختلفة، إلا أنه وقف عاجزا عن معرفة كنه الكهيرب السالب والكهيرب الموجب، اللذين تتكون منهما ذرات العناصر المخلوقة جميعها، فالإنسان ليس فقط أقل من أن يعرف نفسه التى بين جنبيه،[1] بل هو أقل من أن يعرف حقيقة المادة المحسوسة التى يتكون منها جسده، فسنة المحدودية تحيط بالإنسان إحاطة تامة، ولولا سنة التسخير لما استطاع الإنسان أن يستفيد من شيء على ظهر الأرض. فإذا كان هذا هو مدى علم الإنسان طبقا لما اكتشفه العلماء الماديون المتشدقون بالعلم الحديث، فكيف يتأتىَّ لأحد أن يتكلم فى هذا الأصل الغيبى من القدر؟ والذى هو سر من أسرار الله عز وجل، حجبه عنا إلى يوم القيامة.

وأما في يوم القيامة فإن الحجب ستنكشف، ويُجسِّم الله تعالى المعانى للناس فيعرفونها بمجرد رؤيتها مجسمة أمامهم بقدرة الله تعالى، وهو على كل شيء قدير، ففي يوم القيامة ستنكشف الأمور ـ المختلف فيها بين الناس ـ على حقيقتها بطريقة لا يستطيع أوسع الناس خيالا أن يتخيلها فى الدنيا، ومن هذا تجسيم المعانى.

فقد ثبت فى الصحيح : [إذا كان يوم القيامة أتي بالموت كالكبش الأملح، فيوقف بين الجنة والنار فيذبح وهم ينظرون . . .] رواه البخارى ومسلم، وفى رواية أخرى لمسلم : [. . فيقال لأهل الجنة وأهل النار: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: قد عرفناه، وهو الموت الذى وكل بنا، فيضجع، ويذبح على السور الذى بين الجنة والنار. . .] رواية مسلم.

فحقائق الأمور المكفوفة عن الناس فى الدنيا ستنكشف لهم يوم القيامة، وقد أكد الله تعالى ذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾(النحل ٩٢)

فهكذا يكون الرد على أهل الزيغ والضلال، وهو رد شرعى، ويتفق فى الوقت نفسه مع العلم الحديث الذى أثبت ضحالة علم الإنسان، وهو ما أكده الشرع من قبل فى قوله تعالى ﴿**وما أوتيتم من العلم إلا قليلا**﴾وكما أن رسول الله ـ ﷺ ـ وقف موقفا حازما حاسما من المناقشات التى أثيرت حول القدر فى عصره، وكانت إجاباته كلها تؤكد الأصلين من القدر، وتأمر بالإيمان بالأصل الغيبي، مع عدم الاحتجاج به، وتأمر بالإيمان والتعامل مع الأصل المشاهد الذى جعله الله تعالى حجة على البشر جميعا.

الفصل الثالث : التعامل مع هذين الأصلين من القدر

٢٥ ـ كيفية التعامل مع الأصل المشاهد :

ينبغى على المسلم ألا يقتصر على مجرد التسليم بالأصل المشاهد إلى جانب الأصل الغيبى ـ وإنما يجب عليه أن يتعامل مع هذا الأصل معاملة كاملة، لأن الله تعالى سيحتج عليه يوم القيامة بهذا الأصل. فكل إنسان بالغ عاقل يحس من نفسه أنه يستطيع أن يختار بين الخير والشر وبين طاعة الله وعصيانه. فعلى المسلم إذن : أن يجتهد فى الطاعة واختيار الخير، وفى البعد عن الشر والعصيان، وكلما كبا ووقع فى معصية فإن باب التوبة مفتوح له ـ من فضل الله تعالى ـ إلى ما قبيل الغرغرة بالموت.

وحتى يستقيم التعامل مع هذا الأصل ينبغى على المسلم: أن يقبل على تعلم جميع العلوم الشرعية، ليعرف ماله وما عليه، وطلب العلم فرض على كل مسلم ومسلمة.

٢٦ ـ كيفية التعامل مع السنن الكونية :

سبق أن ذكرنا: أن سنن الله تعالى فى كونه هى من الأصل المشاهد، وقد بَيَّن الله تعالى أهمها فى كتابه العزيز، وسنة رسوله ـ ﷺ ـ، فينبغى على المسلم : أن يتعرف على هذه السنن، وعليه أيضا أن يتعرف على سائر السنن المبثوثه فى الكون عن طريق العلوم التى أتاحها الله تعالى للبشر، كعلوم الطبيعة، والكيمياء، والفلك، والحساب، والطب، والزراعة، والصناعة، وغير ذلك، مما أذن الله تعالى للناس أن يكتشفوه. فهذه العلوم تحتوى على سنن الله فى كونه، فمثلا إذا علمنا أن المعادن تتمدد بالحرارة، وتتقلص بالبرودة، فهذه سنة كونيه، يستحيل أن تتغير أو تتبدل إلا عن طريق المعجزات التى ينزلها الله تعالى على من يشاء من رسله، فالمعجزة هى خرق لسنن الكون الثابته، لا يستطيعها إلا الذى خلق الكون وحده.

هذا والتعرف على سنن الله من خلال العلوم المختلفة أمر ضرورى للمسلم، حتى تستقيم حاله فى الدنيا، وحتى لا يعلو عليه أهل الكفر، لأن من يتوغل فى هذه

العلوم ويتقنها يستطيع أن يسخرها لمنفعته وللإضرار بأعدائه ـ كما هو حاصل الآن بالنسبة لأهل الكفر ـ فقد توغلوا فى هذه العلوم، وتعرفوا على الكثير من سنن الله تعالى، مما أتاح لهم الاستعلاء فى الدنيا على المسلمين بالقوة المادية الهائلة التى استخرجوها عن طريق العلم بسنن الله تعالى فى كونه، والاستفادة من سنة التسخير عن طريق التوغل فى العلوم المبثوثة فى الكون، فأصبح زمام الدنيا بأيديهم، يعيثون فى الأرض الفساد، ولولا سنة الدفع الإلهى لما بقى مسلم على ظهرها، ولذلك ينبغى على المسلمين أن يهتموا بعلوم الكون جميعها، فتعلم هذه العلوم أصبح واجبا وفرض كفاية على المسلمين أكثر من ذى قبل، لأننا لا نستطيع أن نقاتل أعداء الله إلا عن طريق التوغل فى هذه العلوم، والمؤمن الذي يجهل سنن الله فى كونه لا بد أن يفشل فى الدنيا، حتى ولو كان فى الآخرة من أهل الجنة.

٢٧ ـ ميزة هامة تخص المؤمنين وحدهم بالنسبة إلى التعامل مع الأصل الغيبى فى الدنيا :

لقد تأكد لنا مما سبق: أن الأصل الغيبي يُؤمن به ولا يُحتَجُّ به، فالتعامل مع هذا الأصل المكفوف مرفوض شرعا، مع وجوب الإيمان به غيبا، ولكن الله تعالى امتن على المؤمنين فى الدنيا، وفتح لهم بابا خاصا بهم، لا يلجه إلا من ذاق طعم الإيمان، وهذا الباب المفتوح لكل مؤمن للتعامل مع الأصل الغيبى هو باب الدعاء، وما أدراك ما الدعاء! فقد جعل الله عز وجل الدعاء من قدره سبحانه وتعالى، يُغيِّر به ما يشاء من قدره أيضا، فهذه منحة عظيمة للمؤمنين وحدهم فى الدنيا، لا تعادلها أية منحة أخرى من متاع الدنيا. وهذه المنحة هى فى الأصل واجبة على كل مسلم بما ثبت فى الصحيح عن أبى هريرة: أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : [من لم يسأل الله يغضب عليه] رواه البخارى[1]، وجعل الله تعالى قراءة الفاتحة من الأمور التى لا تصح الصلاة بدونها، والفاتحة تحتوى على دعاء الله عز وجل، فالصلاة لا تصح بغير هذا الدعاء، وقد ورد عن سلمان الفارسى رضى الله عنه عن النبى ـ ﷺ ـ قال : [لا يرد القضاء إلا الدعاء][2].

---

(١) رواه فى الأدب المفرد.

(٢) أخرجه الترمذى بسند حسن.

وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ـ ﷺ ـ قال : [إن الدعاء ينفع مما نزل، ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله، بالدعاء][1].

هذا ولكي يجعل الله تعالى للدعاء قوة ملموسة للتغيير، إرضاء للمؤمنين، فإن الله قدر أن ينسخ ما يشاء من المقادير، ويثبت ما يشاء، قال تعالى : ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ (الرعد ٣٩).

ولذلك فقد يكون الدعاء سببا فى محو مصيبة نازلة أو تلطيفها، فيكتب ـ مثلا ـ فى كتاب عند الله : لو دعا فلان الله تعالى فى يوم كذا بكذا فإن مصيبة كذا تزال، أو تلطف، وهكذا.

وعن ثوبان قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ [إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه، ولا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد فى العمر إلا البر][2] وفى حديث آخر : [إن الدعاء والقضاء ليعتلجان إلى يوم القيامة] وقد ثبت فى الصحيح : أن صلة الرحم تزيد فى العمر، ولكن المفسرين اختلفوا فى الأشياء من القدر القابلة للنسخ، فقد روي عن ابن عباس : [يدبر أمر السنة، فيمحو الله ما يشاء، إلا الشقاء والسعادة، والحياة والموت][3]. ولكن روى ابن جرير : أن عمر رضى الله عنه قال ـ وهو يطوف بالبيت ويبكى ـ [اللهم إن كنت كتبت على شقوة أو ذنبا فامحه، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت، وعندك أم الكتاب، فاجعله سعادة ومغفرة][1]، وقد وري عن ابن مسعود مثل هذا الدعاء أيضا[2].

هذا وقد اختلف المفسرون فى معنى (أم الكتاب) فروى عن ابن عباس : [الكتاب كتابان : فكتاب يمحو الله منه ما يشاء، ويثبت وعنده أم الكتاب] وفسر الضحاك (أم الكتاب) بالحلال والحرام، فهذا لا يتغير أبدا بعد وفاة خاتم المرسلين ـ ﷺ ـ. وعلى أى حال : فإن ما سبق فى علم الله تعالى مما سيقع حتما يستحيل تغييره ونسخه، وإنما الذى ينسخ من المقادير ـ بمشيئة الله تعالى ـ إنما هو مما كتب وتقرؤه الملائكة من مقادير الخلق، ولا يعلم إلا الله وحده ما سينسخ من هذه المقادير حينما يأتى موعد حصولها. ونسخ المقادير له حكمة عظيمة، كنسخ الأحكام الشرعية فى

---

(١) رواه الترمذى.

(٢) رواه الإمام أحمد ورواه النسائى وابن ماجه.

(٣) أنظر تفسير ابن كثير للآية المذكورة من سورة الرعد.

فترة الوحى ـ فنسخ المقادير بالدعاء (وهو فى كل وقت إلى يوم القيامة) يجعل الدعاء جزءا من قدره تعالى، ينسخ به ما يشاء من قدره.

وليس هذا من قبيل البداء كما زعمتت الرافضة عليهم لعائن الله، فالبداء مستحيل فى حق الله تعالى، فالبداء وهو الظهور بعد الخفاء ـ لا يكون إلا فى حق المخلوق الناقص، وأما الحق تبارك وتعالى فهو منزه عن الجهل والبداء، فما سبق فى علم الله وقدره لا يتغير أبداً، ولكن ما كتبه الله تعالى من قدره القابل للتغير فهو يتغير حينما يشاء الله تعالى، لحكم جليلة.

منها : إعطاء الدعاء قيمة عملية، حتى يقبل الناس على هذا الخير العظيم الذى منحه الله تعالى لعباده المخلصين، وهو الدعاء، وقد روي عن أبى هريرة عن النبى ـ ﷺ ـ قال : [ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء][1].

وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ـ ﷺ ـ قال : [من فتح له منكم باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة، وما سئل الله شيئا أحبّ إليه من أن يسأل العافية][2].

هذا ومن قلة فقه المؤمن: أن يتصدى للبلاء، فقد ثبت فى الصحيح : أن الرسول ـ ﷺ ـ عاد رجلا من المسلمين قد خَفَتَ فصار مثل الفرخ، فقال له الرسول ـ ﷺ ـ: [هل كنت تدعو الله بشيء أو تسأله إياه؟ قال: نعم، كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا. فقال رسول الله» سبحان الله! لا تطيقه (أولا تستطيعه) أفلا قلت: اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، قال: دعا الله له فشفاه] رواه مسلم[3].

فالدعاء جزء من قدر الله الذى هو من عالم الغيب، وهو منحة كبرى لعباده المؤمنين، فهذا الجزء من الأصل الغيبى هو الذى يمكن للإنسان ـ المؤمن ـ أن يتعامل معه، وفيما عدا ذلك فإن الإنسان مطالب بالإيمان بهذا الأصل الغيبى بدون تعامل وبدون احتجاج على الله به، بل الله سبحانه هو الذى يحتج على الناس جميعا بالأصل الذى من عالم الشهادة، ولا سبيل أبدا إلى حل هذا التعارض الوهمى البادى ـ بين الأصلين ـ فى الحياة الدنيا.

(١) يراجع تفسير ابن كثير لآية الرعد المذكورة.
(٢) يراجع تفسير ابن كثير لآية الرعد المذكورة.

٢٨ ـ ميزة أخرى تعم الناس جميعا بالنسبة إلى الأصل الغيبى فى الدنيا :

لقد فتح الله سبحانه نافذة صغيرة للناس جميعا، يطلون منها فى الدنيا على عالم الغيب، وجعل الله تعالى هذه النافذة حجة منه، يحتج بها على الناس الذين يكذبون بقدره. وهذه النافذه هى الرؤيا الصادقة من عند رب العالمين، فالرؤيا الصادقة هى الترجمة العمليه لقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ (القمر ٥٣) وقوله تعالى : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر ٤٩).

ولقد قسم رسول الله ـ ﷺ ـ الرؤيا ثلاثة أقسام. فقد ثبت فى الصحيح : أنه قال : [. . . . والرؤيا ثلاثة : فرؤيا صالحة بشرى من الله تعالى، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يحدث المرء نفسه][1]، وجاء فى تفسير قوله تعالى : ﴿**الذين آمنوا وكانوا يتقون ـ لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم**﴾(يونس٦٤)أن البشرى فى الحياة الدنيا : هى الرؤيا الصالحة، يراها العبد المؤمن أو ترى له[2].

وقد ثبت فى الصحيح عنه ـ ﷺ ـ أنه قال : [إن الرسالة والنبوة قد أنقطعت، فلا رسول بعدى، ولا نبى، قال : فشق ذلك على الناس. فقال : لكن المبشرات، قالوا : يا رسول الله، وما المبشرات؟ قال : رؤيا المسلم. وهى جزء من أجزاء النبوة] ولكن يلاحظ من جهة أخرى : أن الرؤيا الصادقة لا تقتصر على المؤمنين، فإنه من الجائز أن يرى الفاسق والكافر رؤيا صادقه، والدليل على هذا من القرآن الكريم، فإن ملك مصر فى عهد يوسف عليه السلام رأى تلك الرؤيا الشهيرة، والتى سجلها القرآن فى سورة يوسف، وهذا الملك كان كافرا، والحق : أن الرؤيا الصادقة هى حجة الله على البشر جميعا على وجود العالم الآخر، وعلى قدر الله عز وجل، ومن أجل ذلك فإن الله فتح هذه النافذة على الغيب فى الدنيا للناس جميعا : مؤمنهم وكافرهم، ولكن الرؤيا الصادقة بالنسبة للمؤمن بشرى من الله تعالى، كما جاء فى آية يونس آنفة الذكر.

(١) رواه الترمذى وأحمد والحاكم بسند صحيح.
انظر التاج الجامع للشيخ منصور جـ ٤ كتاب الدعاء
(٢) رواه الترمذى.

وقد جعل الله تعالى الرؤيا على أنواع : فالرؤيا قد تكون مباشرة من دون رموز، فتحكي ما سيحصل فى المستقبل كما هو تماما، وهناك أيضا الرؤيا الرمزية : كرؤيا ملك مصر، فقد رأى سبع بقرات سمان، يأكلهن سبع عجاف، وقد فسرت البقرات فى هذه الرؤيا بالسنين، ويلاحظ : أن هذه الرموز ليست ثابته، فهى تختلف باختلاف الناس والأحوال، فقد رأى رسول الله ـ ﷺ ـ قبيل غزوة أحد بقرا يذبح، فأوَّله بنفر من أصحابه يستشهدون.

وهناك حكمة بالغة من الرؤيا الرمزية، فهى تدحض ما زعمه سيجموند فرويد وأمثاله : من أن كل ما يراه الناس فى منامهم إنما هو من قبيل انطلاق بعض الصورة المختزنة فى العقل الباطن للإنسان، مما يراه أو يشعر به فى يقظة، فهو نوع من حديث النفس فى أثناء النوم، وهو ما عبر عنه الرسول ـ ﷺ ـ بقوله [ورؤيا مما يحدث المرء نفسه] ففرويد لم يأت بجديد، فقد سبقه الرسول ـ ﷺ ـ فى بيان هذا النوع من الرؤيا، ولكن فرويد كذَبَ، إذ زعم أن جميع ما يراه الإنسان فى نومه هو من هذا النوع فقط، فهناك أيضا رؤيا صادقة من الله تعالى، وهناك حلم من الشيطان ليُخيف الإنسان فى نومه : أو يحزنه، والإنسان يستطيع أن يتلافى هذا الخوف والحزن من الشيطان، بالاستعاذة بالله تعالى وذكره عز وجل.

فالرؤيا الرمزية تدحض ما زعمه فرويد : من حصر الرؤيا فى حديث النفس أثناء النوم، لأن الرؤيا الرمزية لا يدرك الإنسان معناها، فلا يدركها إلا من آتاه الله علم تأويل الرؤيا، وما دام الإنسان لا يدرك معنى الرموز التى يراها فى نومه فهذا دليل على انقطاع الصلة بين هذا النوع وبين العقل الباطن، ثم إن العقل الباطن لا شأن له بما سيحصل بالمستقبل، فهذا لا شأن له على الإطلاق بالعقل الباطن، ولأن العقل الباطن يخرج ما مضى من أحداث، ولا شأن له على الإطلاق بمعرفة أحداث المستقبل، فالرؤيا الصادقه إذن هى حجة من الله تعالى على البشر جميعا، وهى نافذة على عالم الغيب، تؤكد للناس وجود هذا العالم المكفوف عنا تماما، إلا من خلال هذه النافذة، إلى جانب ما أخبرت به الرسل عليهم السلام عن هذا العالم.

هذا ويجب أن يلاحظ هنا أمر هام : وهو أن الرؤيا الصادقة بالنسبة للمؤمن لا تزيد عن كونها بشرى، فلا يجوز إتخاذها أداة للتشريع، فهذا أمر يخص الأنبياء وحدهم، فرؤيا النبي أمر من الله له، ولكن هذا يقتصر على الأنبياء وحدهم، وأما

سائر الناس من صديقين وصالحين فلا يجوز لهم أن يعتمدوا على الرؤيا فى أمور الدنيا، وإنما هى بشرى لهم من الله تعالى، وحجة على الكافرين ويلاحظ : أن تأويل الرؤيا الصادقة الرمزية إنما هو ظنى دائما، وليس قطعيا إلا بالنسبة للأنبياء، ولا يمكن التأكد من معنى الرؤيا إلا حينما تتحقق فى عالم الواقع فيعرف تأويلها بيقين.

هذا وقد ثبت فى الصحيح : أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه ـ وكان أعلم الناس بتأويل الرؤيا بعد رسول الله ـ ﷺ ـ أخطأ فى رؤيا أوَّلها بين يدى رسول الله ـ ﷺ ـ إذ أنه رضى الله عنه ـ قال بعد أن أوَّلها : [فأخبرنى يا رسول الله، بأبى أنت وأمى، أصبت أم أخطأت؟ قال : أصبت بعضا وأخطأت بعضا. قال : فوالله يا رسول الله، لتحدثنى ما الذى أخطأت، قال : لا تُقسم] (رواه البخارى ومسلم).

بل إن الأنبياء أنفسهم قد يخطئون ـ نادرا ـ فى تأويل الرؤيا فقد ثبت فى الصحيح : أن رسول الله ـ ﷺ ـ رأى فى المنام : أنه يهاجر من مكة إلى أرض ذات نخل، فأولها بأنه يهاجر إلى اليمامة بنجد، أو إلى هجر (البحرين)، ثم تبين بعد ذلك : أن التأويل الصحيح هو المدينة المنورة.

ويلاحظ أيضا : أن الرؤيا قد يراها الإنسان لنفسه أو لغيره، فلا تحصل لمن رؤيت له، وإنما تتحقق : في مسمِّيه أو قريبه، أو من يعادله فى أمر من الأمور، فهذه الرؤيا بالنظائر، وقد روي عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه رأى أبا جهل فى الجنة، فقال ما ينبغى لهذا أن يكون فى الجنة، ثم أسلم بعد ذلك ابنه عكرمة فكان تأويل الرؤيا : أنها تتعلق بابنه، وليس به، رغم أنها رؤيت له.

ومن هذا يتضح : أن الرؤيا لا يجوز أن تتخذ وسيلة لأمر أو نهى أو عمل فى الدنيا، وإنما هى بشرى للمؤمنين، وحجة لهم على الكافرين بقدر الله تعالى، وبعالم الغيب.

٢٩ ـ خلاصة فقه الإيمان بالقدر :

يتضح لنا من هذا البحث : أن الإيمان بالقدر واجب على كل مسلم، فهو من أركان التوحيد، لا يتم الإيمان بدونه. والقدر له أصلان :
أصل من عالم الغيب، وأصل من عالم الشهادة.

فالأصل الأول ينبغى الإيمان به وعدم التعامل معه إلا عن طريق الدعاء، فالدعاء جزء من القدر، منحه الله تعالى لعباده المؤمنين المخلصين، وأما الأصل الذى من عالم الشهادة فهو لا يكفي فيه مجرد الإيمان، بل لا بد من التعامل معه فى الدنيا، والله تعالى يحتج بهذا الأصل على الناس يوم القيامة، وليس لهم أن يحتجوا بالأصل الغيبى، والناس جميعا ممنوعون من محاولة التوفيق تفصيلا بين الأصلين المختلفين فى الطبيعة، لأن أحدهما مكفوف عنا، لا يمكن معرفة حقيقته فى الدنيا. ولا يجوز لأحد أن يركن إلى أحد الأصلين وينكر الأصل الآخر، فمن فعل ذلك فهو من الفرق الضالة، وأما التوفيق الكامل بين الأصلين فسيتم على رؤوس الأشهاد فى يوم القيامة، حينما يبين الله تعالى للناس ما كانوا فيه يختلفون، كما قال تعالى: ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾(النحل ٩٢) وفى هذا اليوم العظيم سيتضح للناس جميع الأمور التى اختلفوا فيها، بل إن الله تعالى ـ وهو على كل شيء قدير ـ سيجسم للناس المعانى، فيعرفونها فور رؤيتها، كما ورد ـ مثلا ـ بالنسبة للموت، فسيجسم على هيئة كبش أملح على الصراط بين الجنة والنار، فيعرفه الناس جميعا بمجرد رؤيته.

هذا ولا يجوز الانزلاق إلى الكلام فى تفاصيل القدر ـ مما لم يرد بالكتاب والسنة ـ بحجة الرد على أهل الزيغ والضلال : من الفرق، والفلاسفة، بل إن الرد العلمى على هؤلاء جميعا يكون عن طريق بيان عدم قبول السؤال شكلا، وبالتالى فلا يجوز الدخول فى موضوعه، وإثبات عدم قبول السؤال شكلا سهل ميسور فى كل عصر، وهو فى عصرنا هذا أكثر سهولة، فقد ثبت علميا : أن الإنسان لا يعلم إلا قليلا جدا من علوم الكون، وهو لا يعرف نفسه التى بين جنبيه، بل ثبت علميا: أنه لا يعرف حتى كنه المادة التى يتكون منه جسمه، فكيف يحق له مع إقراره بهذا الجهل ـ أن يلج بابا أغلقه الله إلى يوم القيامة، يخفي وراءه أسرارألا يعلمها إلا الله تعالى، وصدق الإمام على رضى الله عنه حينما سئل عن لقدر فقال : [بحر عميق فلا تغوصوه، وسر مكتوم فلا تلجوه][1].

انتهى بحمد الله تعالى

---

(١) رواه البخارى أنظر التاج الجامع للشيخ ناصف جـ ٤ كتاب الرؤيا والأمثال.

تصدرها
جامعة
الكويت

مجلة العلوم الاجتماعية

مجلة فصلية أكاديمية تعنى بنشر الأبحاث والدراسات
في مختلف حقول العلوم الاجتماعية
رئيس التحرير : د. فهد ثاقب الثاقب

منبر بارز للأكاديميين العرب
توزع أكثر من (١٠٠٠) نسخة

الاشتراكات

للأفراد	سنة	سنتان	ثلاث سنوات	أربع سنوات
الكويت	٢ د.ك	٤ د.ك	٥ر٥ د.ك	٧ د.ك
الدول العربية	٣ر٢ د.ك	٥ر٤ د.ك	٦ر٦ د.ك	٨ د.ك
البلاد الأخرى	١٥ دولار	٣٠ دولار	٤٠ دولار	٥٠ دولار
للمؤسسات				
الكويت والبلاد العربية	١٠ دولار	٢٥ دولار	٤٠ دولار	٥٠ دولار
في الخارج	٦٠ دولار	١١٠ دولار	١٥٠ دولار	١٨٠ دولار

توجه جميع المراسلات إلى : رئيس التحرير
مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت ص ب ٥٤٨٦ صفاة 13055
صفاة الكويت - هاتف ٢٥٤٩٤٢١/٢٥٤٩٣٨٧ - تلكس ٢٢٦١٦ KUNIVER الكويت